مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٨ ، ص ص ٣-٦٤ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)

التعليم في مـــكة في العهـــد الممـــلوكي

محمد بن صالح الطاسان
قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز
جـــدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص . يتابع هذا البحث النظام التعليمي بمكة خلال حكم المماليك لها ، الذي يكاد يتشابه مع نظم التعليم في البلاد الإسلامية الأخرى في ذلك الوقت ، لأنها تركز على تدريس العلوم الشرعية واللغوية . فيبدأ الطالب وهو صبي بتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم مع بعض المواد الأخرى في الكتاتيب ، وبعد إتقانه حفظ القرآن يمكنه الاستزادة من العلم بالالتحاق بحلقات العلم بالمسجد الحرام أو المدارس التي يقوم بالتدريس فيها - عادة - كبار علماء مكة إما تطوعا أو بأجر . على أن بعض طلبة العلم المكيين لا يقنع بما درسه في بلده ، فنجده يرحل لطلب العلم في البلاد الإسلامية الأخرى . كما أنه يستفيد من العلماء الذين يفدون للحج أو المجاورة بمكة . وبالإضافة إلى تلقي الطلاب الدروس في المسجد الحرام أو المدارس ، نجد أن بيوت العلماء والأربطة تقوم بدور لا بأس به في تنشيط الحركة العلمية في مكة .

ورغم ذلك واجهت الحركة التعليمية بمكة عدة عقبات منها التعصب المذهبي والجمود الفكري ، واعتماد بعض المدارس والدروس بالمسجد الحرام على الوقف المتذبذب ، مما أدى إلى عدم قيامها بأداء واجبها على الوجه المطلوب .

مقـــــدمـــة

فضَّل الله الإنسان على سائر مخلوقاته بكثير من الخصائص ، ومن أهمها القدرة على التعلم ، حتى أنه جعل هذه الخاصية أفضل النعم عليه وقدمها على نعمة الخلق والوجود ، قال تعالى ﴿ الرَّحمَنُ . عَلَّمَ القُرءَانَ . خَلَقَ الإنسَانَ ﴾[1] بل أسجد له الملائكة من أجل تفضيله بهذه

الخاصية . لذلك لا يستغرب إذا كان أول التنزيل على المصطفى الكريم محمد ﷺ ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾(٢) .

ومما يشهد على عناية الإسلام بالعلم والتعلم ورود كثير من الآيات القرآنية التي تحث على التدبر والتفكر والتعلم . وتنكر الجمود وكتم العلم . إضافة إلى ما ورد في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - من تفضيل العالم على العابد ، وأن أجر المؤمن يعظم إذا شغل وقته بالتعلم أكثر من شغله له بالأعمال الأخرى . كما أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان في خلقه وتعامله القدوة الحسنة لكل عالم ومتعلم .

وقد كانت مكة ، المكان الذي اختاره الله لبدء الدعوة الإسلامية ، ومنها انطلق النور الإلهي إلى كافة الأصقاع ، وبدأت بها أول حركة تعليمية قام بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - تُبَصِّر الناس بالطريق الصحيح لعبادة الله وعمارة الأرض .

ولم تستمر هذه الدعوة في مكة فانتقلت إلى مكان آخر في الحجاز ، إلى المدينة ، وفيها أكمل الله دينه ، وأكمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - الدعوة إليه .

وبالرغم من الدور الكبير الذي قامت به كل من مكة والمدينة في نشر الإسلام ، إلا أنه لم يستمر طويلاً حينما بدأت الخلافة تنتقل من الحجاز إلى الكوفة ، فدمشق ، فبغداد ، فالقاهرة ، ونتج عن ذلك ضعف مركز الحجاز السياسي والثقافي .

وقد خص الله سبحانه وتعالى ، مكة ، دون سائر بقاع الدنيا ، بكثير من المزايا ، وربط قلوب المسلمين بها في صلواتهم . بل جعل الحج إليها ركنا من أركان الدين ، لا يقوم إلا به ، ولعل ذلك كان لحكمة عظيمة ، هي ألاّ ينسى فضل هذه البلاد على الإسلام والدعوة الإسلامية . لذلك يفد إليها كل عام آلاف المسلمين منهم من يريد أداء فرضه ، ومنهم من يرغب في قضاء بقية عمره أو بعض منه في صفاء روحي بعد أن زهد في الدنيا ومفاتنها .

وسيركز هذا البحث على تتبع حالة التعليم في مكة خلال العهد المملوكي ، ولكن هذا لا يعني أن النظام التعليمي بمكة نظام مستقل بذاته ، منفصل عن بقية نظم التعليم الأخرى في البلاد الإسلامية الأخرى ، حيث إننا نجد أن نظم التعليم في معظم البلاد الإسلامية في ذلك الوقت تكاد تتشابه في معظم النواحي ، لأنها تركز على تعليم العلوم الشرعية واللغوية .

ولاشك أن أي نظام تعليمي يساير نمو الإنسان من بداية قدرته على التعلم إلى تمام نضجه العقلي . أي إنه يبدأ من البسيط إلى المعقد ، ومن العموم إلى الخصوص ، ومن الإجمالي إلى التفصيل .

وسوف يتابع هذا البحث مراحل التعليم بمكة في ذلك العهد ، مرحلةً مرحلةً إلى أن يصبح المتعلم قادراً على العطاء .

المرحـــلة الأولى « الكُتَّاب »

مما لا شك فيه أن المكان الأول الذي يبدأ فيه الطفل بالتعلم هو المنزل ، حيث يتلقى في أحضان والديه مبادىء التربية الأولية في الأخلاق والسلوك و التعامل مع غيره . ولكنه بعد أن يبدأ بإدراك ما حوله أكثر فأكثر ، وعندما يصبح في مقدوره التعلم والتعامل مع أدوات الكتابة باتزان ، يحسن بالوالدين إرساله إلى معلم يعلمه الكتابة والقراءة . وربما يعود ذلك لأسباب منها عدم قدرة الوالدين على تعليمه ، إما لجهلهما أو لعدم وجود فراغ عندهما أو لرغبتهما في اختلاط الطفل مع غيره من الأطفال . وهذا المكان الذي يتعلم فيه الصبي وأقرانه الكتابة والقراءة على يدي معلم هو الكُتَّاب . ولعل الكلمة مشتقة من الكتابة لأن معظم ما يدرسه الطفل في هذه المرحلة هو تعلم القراءة والكتابة .

سن الطـفل عنـد دخـوله الكُـتَّاب

ليست هناك سن محددة لبدء إرسال الطفل للكُتَّاب ، ولكن يمكن اعتبار حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – « مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا ، وفرقوا بينهم في المضاجع »(٣) قاعدة يفهم منها أن الأمر بالصلاة لا يكون إلا بعد تعليم الولد لشروطها وواجباتها و أركانها . وهذا عادةً يمكن أن يكون قبل السابعة من العمر . هذا إلى جانب أن بعض الفقهاء لم يحبذوا تعليم الصبيان في المسجد مخافة تعريض المسجد لنجاستهم لأنهم لا يتحفظون منها ، ومن عبثهم فيه . كما نقل ذلك عن الإمام مالك(٤) – يرحمه الله – حيث نجد أن التحفظ من النجاسة لا يكون إلا ممن كان قبل السابعة ، لذلك يمكن أن نستنتج أن إرسال الطفل إلى الكُتَّاب ربما كان ما بين الخامسة إلى السادسة . ويمكننا أن نستدل على ذلك بما ذكره الفاسي عندما ترجم لنفسه في كتابه « العقد الثمين »(٥) حيث ذكر أنه سمع الحديث وهو في سن الثامنة من عمره تقريبا ، وهذا لا يكون إلا بعد أن يكون قد تعلم قدراً كبيراً من مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم .

المـــواد الدراسيـــة

أما العلوم التي يتعلمها الطفل في هذه الكتاتيب فيمكن تقسيمها إلى قسمين :

أساسية وفرعية

فأما الأساسية ، فهي تعلم القرآن الكريم ، والقراءة والكتابة ، وبعض مبادىء الدين

والنحو . وأما الفرعية ، فهي الحساب والنحو والشعر وأيام العرب وأخبارها[٦] .

هذه بعض العلوم التي يتعلمها الأطفال في الكتاتيب ، وهي ما يمكن أن نسميه علوم منهجية . وهناك أيضاً بعض المهارات التي يتعلمها الطفل خارج الكتاتيب وهي ما يطلق عليه أيضا اسم معارف غير منهجية مثل : تعلم السباحة ، والرماية ، وركوب الخيل ، وهي ما تسمى في العصر الحاضر بالتربية الرياضية . فهذه المهارات حض الإسلام عليها وتتطلبها الحياة . كما ورد في الأثر « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » .

بالإضافة إلى دروس أخرى فيما يسمى اليوم بالتربية الفنية كتعلم تحسين الخط ، حيث ذكر ابن خلدون أن تعلم تحسِّين الخط له معلمون متخصصون ، ولا يدرس ضمن المنهج الدراسي في الكتاتيب ، فمن أراد من الصبيان أن يحسن خطه فعليه التدرب على يد متخصص في هذا المجال في وقت فراغه اليومي بعد الكتاتيب[٧] .

أهـداف التعـليم في الكـتاتيب

بالنظر إلى المواد التي يتعلمها الطفل في هذه المرحلة ، نجد أنها تحقق ثلاثة أهداف :

١ – تربية الطفل تربية دينية تساعده على اكتساب عقيدة صحيحة ، وإيمان مستقيم ، وآداب وأخلاق سوية تعرفه بما له وما عليه من حقوق وواجبات سواءً للّه أو للغير ، وذلك من خلال تعلمه للقرآن الكريم وبعض مبادىء الدين الحنيف .

٢– إعداد الطفل دنيويا ، لأن الإسلام منهج دنيا ودين . قال تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَـٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَ ولا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنياَ ﴾ الآية[٨] . فمن خلال هذه المناهج يتعلم الطفل بعض المعارف كالقراءة والكتابة والحساب . وذلك لإعداده مهنيا لكسب عيشه وطلب رزقه والاعتماد على نفسه .

٣– إعداد الطفل علميا لمواصلة تعليمه لمراحل دراسية أعلى ، إذا شاء ، فبعد أن يتخرج فيها ، يبدأ بتلقي الدروس ، والتعمق فيها والتخصص في فرع أو أكثر منها . ويكون ذلك عادة إما في المسجد أو في المدارس على يد أساتذة وشيوخ متخصصين .

الجـدول الدراسي اليـومي

أما توزيع المواد الدراسية في الكتاتيب على اليوم الدراسي ، فقد كان كالآتي :

١ – القرآن الكريم من أول النهار إلى الضحى .

٢– القراءة والكتابة من الضحى إلى صلاة الظهر .

٣- يعود الصبيان بعد صلاة الظهر - بعد أن يتغدوا ويستريحوا قليلا - لدراسة بقية المواد كالنحو والحساب وأيام العرب وغيرها إلى آخر النهار .

أما الدراسة فتبدأ من صباح السبت إلى عصر الخميس ، وبذلك يكون يوم الجمعة عطلة أسبوعية[٩] . إلا أن كتاتيب المدينة ومدارسها كانت تعطل يوم الثلاثاء أيضًا . فقد ذكر العياشي[١٠] أنه لاحظ أثناء زياراته للمدينة المنورة في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الهجري أن الأجازة الأسبوعية للكتاتيب وحلقات الدرس في المدينة كانت يوم الثلاثاء والجمعة ، وأنها تختلف عمّا جرت العادة عليه في المغرب من أنها تكون بعد منتصف نهار يوم الخميس ويوم الجمعة . فالاختلاف هنا بين يومي الثلاثاء والخميس . ولعل تلك العادة التي كانت موجودة في المدينة تشمل مكة أيضًا ، ويؤيد ذلك جدول المدرسة البنجالية[١١] في مكة الذي يبين أن يوم الثلاثاء ، كان خلوا من أي تدريس أو تعلم ولا ندري هل كانت هذه العادة شاملة لجميع العصور أو كانت في فترة زمنية خاصة .

ويذكر القابسي[١٢] أن العطل السنوية للكتاتيب كان يوما واحدا في عيد الفطر ، ويمكن أن تمدد إلى ثلاثة أيام ، يوم قبله ، ويوم العيد ، ويوم بعده . أما عيد الأضحى ، فالعطلة بين ثلاثة أيام إلى خمسة تبدأ من يوم العيد وثلاثة أيام أو أربعة بعده .

وعادة ما يُعطى الأطفال إجازة يوم أو بعضه عند الاحتفال بختم القرآن الكريم لأحد الصبية .

أهـــداف المنهـــج الدراسي

ولا شك أن منهجا كهذا يحقق عدة أهداف منها :

١ - إعطاء قدر أكبر من اليوم الدراسي لتعلم القرآن الكريم ، وذلك لأهمية تعلمه وحفظه بالنسبة لأبناء المسلمين . وقد علل ابن خلدون ذلك الاهتمام بتدارك الصبي من صغره بتحفيظه القرآن الكريم أو بعضه . لأنه عندما يكبر ربما تشغله أمور الحياة ، وتصرفه عنه ، حيث يصعب على أهله أيضا عند البلوغ السيطرة عليه[١٣] .

٢ - وتأتي في المرتبة الثانية الكتابة والقراءة ، وذلك لأنها تلي القرآن الكريم في الأهمية .

٣- تأتي في المرتبة الثالثة بعض العلوم الأخرى كالحساب والنحو والتاريخ والشعر وغيره .

٤ - إعطاء الطلاب الفرصة للترويح عن النفس ، وإمدادهم بطاقة لمواصلة التعلم ، وذلك بالسماح لهم بمغادرة الكُتّاب بعد الظهر ، وكذلك بإعطائهم عطلة أيام الجمع والأعياد .

مــكان الكـتاتيب

أما المكان الذي يتعلم فيه الأطفال - أي الكتاتيب - فقد يكون ركنا في المسجد ، إلا أن بعض الفقهاء كرهوا أن يتخذ المسجد مكانا لتعليم الصبيان محافظة على نظافة المسجد وطهارته ، وخشية من عبث الصبية به ، وإبعاداً لهم عن التشويش على المصلين . إضافة إلى أن بعض الفقهاء اعتبر تعليم الأطفال نوعًا من التكسب الدنيوي بالنسبة للمعلم ، لذلك فضل أن يكون ذلك خارج المسجد(١٤) . لهذا نجد أن معظم الأماكن التي تتخذ لتعليم الصبيان كانت عادة خارج المسجد . وقد وردت إشارات أن أماكن معظم الكتاتيب في مكة في العهد المملوكي كانت تحت مآذن المسجد الحرام أو عند أحد أبوابه(١٥) .

وربمايتخذ المعلم منزله ، إذا كان فيه متسعا ، مكانا للتعليم ، أو يستأجر مكانا ليعلم الأطفال به ، أو قد يتبرع محسن بالمكان له(١٦) .

على أن بعض الأسر الغنية في مكة في ذلك العهد كانت تستأجر معلما يحضر إلى منزلها ليعلم أولادها ، كما أشار إلى ذلك السخاوي في كتابه الضوء اللامع(١٧) .

شــروط المــكان

من المستحسن أن يكون مكان تعليم الأطفال في موضع عام يسلكه المارة ، حفاظا على الأطفال وحماية لهم . ويكون المكان عادة ، إما غرفة واسعة أو مكانا متسعا ، يجلس فيه الصبيان على الأرض ، ويتصدر المكان عادة مصطبة مرتفعة يجلس عليها المعلم ليشرف على الصبيان(١٨) .

طــرق التــدريس في الكـتاتيب

أما طرق التدريس في الكتاتيب ، فكانت تعتمد على المادة التي تدرس ، فالقرآن الكريم ، يقوم المعلم بتلقينه الطلاب وترديدهم بعده سورة بعد سورة ، يبدأ بقصار السور ، حيث لا ينقلهم من سورة إلى أخرى حتى يتقنوا حفظها . وكان لا يسمح للأطفال بكتابة القرآن في الألواح تنزيها لكتاب الله تعالى من ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو(١٩) إلا بعد أن يصبح الصبي مميزا يسمح له بكتابة القرآن الكريم باللوح وحمله(٢٠) ولكن يسمح له بالكتابة في هذه الألواح في تعلم المواد الأخرى كالكتابة والخط والشعر وغيرها(٢١) ، حيث إذا أخذوا قسطا منها وفهموه وتدربوا عليه يمكنهم محوه والكتابة عليه من جديد .

وعادة يُستعمل في مسح اللوح الماء ، إذ يوضع إناء في مكان الدرس ويملأ بالماء كل يوم وبعد استعماله في نهاية اليوم الدراسي ، يصب في حفرة صغيرة ، فينشف . لذلك يكلف المعلم

كل يوم صبيا بإحضار الماء بالتناوب . ويمكن أيضا استعمال منديل ونحوه لمسح اللوح[٢٢] .

الشـروط الـواجب توفـرها في معـلم الصبيان

أما المعلم ، فقد اعتبره التربويون المسلمون ، ثالث أثافي العملية التعليمية ، إذ ركناها الآخران الطالب والمنهج . ولما كان الطفل يقضي معظم يومه من الصباح الباكر إلى آخر النهار مع معلمه ، لذلك فله تأثير كبير على أخلاقه وسلوكه . فالطفل بجانب أخذ العلم عنه يقتدي به في معاملته وسلوكه ، ويحاكيه في حركاته وسكناته ، لأن الطفل في هذه المرحلة مجبول على التقليد والمحاكاة ، ويعتبر معلمه قدوته ومثله الأعلى .

وبالرغم من أنه ليس هناك جهة رسمية تعد هؤلاء المعلمين وتؤهلهم لتولي هذه الوظيفة ، لأنها حسب العرف العام ، لا تحتاج إلى مؤهل عال . وإنما يكفي في من تصدى لها ، ووجد في نفسه الرغبة في مزاولتها ، أن يكون على الأقل مجودا لتلاوة القرآن الكريم ، عارفا بالقراءة والكتابة ، وعنده مبادىء في بعض العلوم كالنحو والحساب والشعر والتاريخ ، إلا أن المحتسبين شددوا على وجوب أن يكون سليم العقيدة ، ومقيما لتعاليم الدين ، ومؤديا لها . وأن يكون في خلقه وسلوكه وتعامله متبعًا أوامر الدين ونواهيه ، ويفضل أن يكون متزوجا ، أو شيخا كبيرا[٢٣] .

ولما كان القرآن الكريم ، هو المحور الرئيس للعملية التعليمية في هذه المرحلة ، لأن تعلمه وحفظه وتجويد تلاوته ، من واجبات الدين ، لما فيه من أوامر الله ونواهيه ، ولأن تلاوته من مستلزمات الصلاة ، فقد اشترط بعض الفقهاء ، وجوب حصول معلم الكُتّاب على إجازة في إجادته تلاوة القرآن الكريم من مقرىء مشهود له بذلك ، حتى تؤهله لمزاولة هذه المهنة ، وذلك لأن كثيرًا ممن دخل في هذه المهنة لم يكن متقنا لذلك . وقد مكن هذا الشرط بعض المقرئين أن يشتطوا في طلب الأجرة من أجل الحصول على الإجازة منهم خصوصا إذا كانوا من القراء المعروفين[٢٤] .

واجبـات معـلم الصبيان

بالإضافة إلى واجب المعلم الأساسي وهو تعليم الصبيان ، فإن عليه واجبات أخرى ملزم بالقيام بها ، ومنها :

١- مراقبة الصبيان أثناء الدرس وبعده ، والاتصال بأهلهم لإخبارهم بمدى تحصيل أبنائهم ، والتفاهم معهم في معالجة ما أعوج في سلوكهم .

٢- يقسم التلاميذ إلى فئات حسب ذكائهم ، ثم يقسم وقته حسب حاجة كل فئة ، ويتبع

طريقة تعليمية تناسب كل فئة .

٣- المساواة بين التلاميذ في المعاملة ، فلا يفضل بعضهم على بعض .

٤- أن يتبع معهم في التعليم أسلوبا يشوقهم للدرس ، ويجذبهم إليه ، حتى لا يصيبهم الملل . ويتدرج معهم في الدرس من البسيط إلى المعقد ، وألا يخوض في مسائل الاختلاف ، وأن يكون ذلك كله برفق وشفقة .

٥- أن يسمح للتلاميذ بالسؤال عما صعب عليهم فهمه .

٦- أن يخصص يومًا في كل أسبوع لمراجعة ما أخذوه من القرآن الكريم وغيره .

٧- أن لا ينشغل عن التلاميذ أثناء الدرس بعمل شيء ، أو يترك مكان الدرس لقضاء عمل ، لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى في الدرس وإزعاج الآخرين ، ويعتبر إهمالا منه .

٨- أن لا يستخدم الصبيان في قضاء حوائجه أو حوائج غيره .

٩- الرفق بالتلاميذ في المعاملة ، والشفقة عليهم ، وإحساسهم بأبوته لهم وحنوه عليهم .

١٠- أن يقسم اليوم الدراسي إلى حصص ، ففي كل حصة يعطي علما من العلوم ، ولا يدخل بعضها ببعض ، ويبدأ بالأهم ثم المهم .

١١- أن يحرص في أثناء تدريسهم القرآن الكريم أن يبسط لهم ما ورد فيه من حث على الإيمان وإخلاص النية لله ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وحثهم على ما ورد فيه من مكارم الأخلاق والسلوك الحسن . ويبين لهم في درسه عن السيرة النبوية اتصاف صاحبها - عليه أفضل الصلاة والسلام - بهذه الأخلاق والتي وصفه الله في كتابه بأنه على خلق عظيم ، حيث إنه كان خلقه القرآن ، ويحثهم على الاقتداء به . وفي تدريسه للأدب والشعر أن يُبعد عنهم ما فيه من الفحش والرذيلة .

١٢- ألا يكثر عدد الصبيان في المكتب ، حتى لا يصعب عليه تعليمهم ومراقبتهم .

١٣- أن يحرص على السماح للصبيان بأن يذهبوا إلى بيوتهم وقت غدائهم ، لأن في ذلك راحة لأذهانهم وزيادة في طاقة أجسامهم .

١٤- أن يكون مخلصا في عمله ، باذلا جهده في التعليم ، مستفرغا طاقته في البذل والنصح .

١٥- أن يكون مطبقا للمبادىء والأخلاق التي يعلمها طلابه ، فإنهم يتأثرون به ويقتدون

به .

١٦ - أن يراعي الحالة الصحية للتلاميذ ، فيصرف الطالب المريض ليتمكن أهله من علاجه ، ولا ينقل العدوى لزملائه ، كما عليه أن يمنع الباعة من الوقوف أمام المكتب حتى لا يتمكنوا من بيع بضاعتهم الملوثة للأطفال .

١٧ - أن يسلك مع طلابه مبدأ العقاب والثواب ، فيثني على المجتهد ويكافئه ، ويزجر الكسول والسيء السلوك والخلق ويعاقبه . إلا أنه في هذا يجب ألا يؤذي مشاعر زملائه فيورث بينهم الحسد والحقد والبغضاء(٢٥) .

العقـــــوبات

وبجانب أنه سمح للمعلم أن يكافىء طلابه المجتهدين ، فإنه في الوقت نفسه أذن له أن يعاقب المسيئين ، على أن العقاب يجب أن يكون من أجل الإصلاح ، وأن يكون على ذنب مثل :

١ - الخطأ في الكتابة أو القراءة أو الحفظ .

٢ - الإهمال في الواجبات المدرسية المقررة عليه .

٣ - اللعب أثناء الدرس ، وعدم الإصغاء .

٤ - الإساءة إلى زملائه في الكلام أو السلوك .

٥ - الهرب من الكُتَّاب .

٦ - أما خارج الدرس ، فمن الذنوب التي يعاقب عليها :
أ - ترك الصلاة .
ب - إساءة الأدب مع الغير .
جـ - اللهو المنهي عنه مثل : اللعب بالكعب والبيض والنرد وجميع أنواع القمار .
ويجب على المعلم أن يتبع في أسلوب العقاب التدرج ، واتباع الأسلوب الشرعي في ذلك وهو :

١ - النصح ٢ - التوبيخ ٣ - التهديد ٤ - منعه من بعض الأشياء التي يحبها مثل اللعب والأكل ٥ - الضرب .

كما يجب أن يكون الضرب بقدر الجرم الذي استحق العقاب عليه . وأن يكون من ضربة

واحدة إلى ثلاث ضربات . وأما الزيادة على ذلك فيستأذن وليه ، على أن لا تزيد على عشر ، لمن لم يبلغ الاحتلام ، أما من بلغ ذلك فيمكن الزيادة بشرط أن يكون سيء الخلق وقوي البنية ، ولا تردعه العشر ضربات . ومع ذلك نجد أنهم لا يحبذون الضرب للصبيان الذين لم يبلغوا عشرا تمشيا مع الحديث الذي نص فيه على ضرب الصبيان على ترك الصلاة لعشر .

واشترطوا أن يقوم المعلم بنفسه بضرب الصبي ، ولا يترك أحد الصبية يقوم به حتى لا تحدث البغضاء بينهم . كما اشترطوا ألا يُحْدث الضرب في الجسم عطبًا أو وهنًا أو أثرًا شنيعًا ، وألا يضرب الأماكن الحساسة في الجسم كَالرأس والبطن ، بل يكون في مكان آمن كاللوايا والأفخاذ وأسافل القدمين .

أما كيفية الضرب فيكون مفرقا لا مجموعا في محل واحد . وأن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأولى ، وأن يرفع الضارب ذراعه لينقل السوط أو العصا لا عضده .

أما بالنسبة لآلة الضرب فيجب ألا تكون عصا غليظة تكسر العظم ولا رقيقة تؤلم الجسم ، بل تكون وسطا ، ويكون سيرها عريضا ، وأن يكون بدرة رطبة مأمونة .

كما طلبوا من المعلم أن يوقع العقوبة بالصبي أمام زملائه حتى يكون تأثيرها ذا حدين ، منها زجر وردع للصبي المضروب وعظة لغيره .

وعلاوة على ذلك كله ، اشترطوا ألا يكون المعلم أثناء قيامه بالضرب في حالة غضب حتى لا تكون العقوبة انتقامًا ، يؤذي الصبي جسميًا ونفسيًا[٢٦] .

الجهة التي تشرف على الكتاتيب

كما إنه لم تكن هناك جهة رسمية تعد معلمي الكتاتيب ، لتؤهلهم لأداء وظيفتهم ، كذلك لم تكن هناك جهة تشرف على عملهم ، وبالرغم من أن التربويين الإسلاميين طالبوا معلمي الكتاتيب بأداء عدد من الواجبات . إلا إنه ليس هناك جهة تشرف عليهم ، وتلزمهم بأداء مثل هذه الواجبات . لذّلك نجد أن المعلم هو المشرف على نفسه ، ويؤدي عمله حسب ما يرضاه ضميره ، وأغلب المعلمين من هذه الطبقة هم ممن قصرت هممهم عن التزود بالعلم والكد في طلبه ، وقنع بما عنده من معرفة محدودة . ولذلك نجده بقدر قصور همته عن التعلم ، قاصر الهمة في طلب الغنى ، فهو قانع بما يأخذه من القليل من المال من الصبيان ، وبما يهبه بعض الآباء له من صدقة أو هدية . وغالبا ما تكون عند مثل هذا الشخص قناعة في كل شيء . وبالتالي لابد أن يكون مخلصا في عمله ، مؤديا له طلبا لرضا ربه مكتسبا رزقا حلالا ولقمة طيبة .

هذا إذا كان المعلم هو الذي افتتح مكان الدرس ، واتفق معه أولياء الصبيان على التعليم ، مقابل أجرة يدفعونها له[٢٧] . إلا أنه بالرغم من ذلك ، يجب على المحتسب مراقبته وتنبيهه إذا قصر في أداء واجباته ، وإذا لزم الأمر إغلاق مكتبه .

كما يجب على القاضي ، إذا رأى المعلم يتردد عليه كثيرا من أجل الشهادة عنده ، أن لا يقبل شهادته ويمنعه من الحضور إلى مجلس القضاء ، ويردعه عن ترك الصبيان ، وإهماله لهم ولتعليمهم[٢٨] .

أما إذا كانت الجهة المشرفة على فتح مكتب الصبيان ، شخصا تبرع به لتعليمهم طلبًا للأجر[٢٩] ، أو وقفا على أيتام[٣٠] ، فعادة يكون هذا الشخص أو وكيله ، هو المسؤول عن مراقبة معلم الصبيان في أداء واجباته . كذلك الحال إذا كانت الجهة جماعة ، فهم مسؤولون عن مراقبته أو يوكلون شخصا ليقوم بذلك . هذا بالإضافة إلى سلطة القاضي والمحتسب عليه .

أجـــرة المعـــلم

ومما سبق يتضح أن أجرة المعلم ، تدفع من قبل أولياء الصبيان ، أو عن طريق شخص أو جماعة يتفق معهم على تعليم أولادهم أو تعليم عدد محدد من الأيتام ، تكون هذه الأجرة إما شهرية ، أو سنوية ، أو بقدر ما يتعلم الصبي . إلا أنه في العادة تعطى للمعلم بالإضافة إلى ذلك من قبل الأولياء هدايا تكون في الختمة ، وفي الأعياد[٣١] .

المهن التي زاولها بعض المعلمين

إلا أن هذه الأجرة ، وتلك الهدايا ، عادة ، لا تقنع بعض المعلمين ، فنجدهم يعملون بالإضافة إلى عملهم كمعلمي صبيان بأمور أخرى ، اتضح بعضها مما سبق كالشهادة عند القضاة ، بل إن بعضهم كان يعمل كاتبا عند بعض قضاة مكة ، ويكتب للناس[٣٢] ، وبعضهم يعمل بإحدى الوظائف في المسجد الحرام كالفراشة أو الآذان[٣٣] ، أو نائبًا لأحد أئمة أحد المقامات[٣٤] ، ومنهم من عمل شيخًا لأحد الأربطة بمكة[٣٥] ، أو مشرفًا على وقف بعض الأربطة بمكة[٣٦] ، ومنهم من كان مقرئا[٣٧] .

العـــــريف

ولثقل المسؤولية الواجبة على معلم الصبيان ، نجده يستعين في بعض الأحيان ، بأحد تلامذته ، لمساعدته في التعليم ، ويسمى هذا الصبي عريفا .

شـــروط العـــريف

وللعريف شروط يجب على المعلم أن يتحقق من وجودها فيه ، ومنها[٣٨]:

١ - أن يكون ممن ختم القرآن الكريم .

٢- أن يكون مستغنيا عن التعليم بتلقيه قدرا كافيا منه .

٣- أن يكون في ذلك مصلحة تعليمية ومادية للصبي .

٤- أن يكون ذلك بإذن من وليه .

٥- أن يكون راشدا وعفيفا .

٦- أن لا يسمح له بمعاقبة الصبيان .

ومن المهام التي يمكن أن يقوم بها العريف ، تحت إشراف معلمه :

١ - مساعدة المعلم في تعليم بعض زملائه قراءة القرآن الكريم .

٢- مساعدة المعلم في مراجعة ما حفظه بعض زملائه من القرآن الكريم .

٣- مساعدة المعلم في تعليم بعض زملائه القراءة والكتابة وغيرها .

٤- مساعدة المعلم في الإملاء على بعض زملائه .

٥- إمامة زملائه في الصلاة .

٦- المحافظة على النظام في الكُتَّاب أثناء غياب المعلم عنه لقضاء بعض حاجاته .

ومن ذلك كله نرى في قيام الصبي بمثل هذه المهام ، دلالة على احترام المعلم لشخصية الصبي العريف ، وإعطائه الفرصة للتدريب للقيام ببعض الأعمال داخل الكُتَّاب حتى تؤهله وتساعده على كسب خبرة للقيام بمثل هذه الأعمال ، التي ربما ستكون مهنته في المستقبل .

بل إن بعض المعلمين سمح لمثل هذا الصبي بكتابة الرسائل للناس حتى تكون له خبرة في ذلك ، إذ ربما يعمل في المستقبل في ديوان من دواوين الحكومة[٣٩].

السـائـق والشــروط الـواجب توفـرها فيــه

كما أن بعض المعلمين والآباء ، كانوا يستعينون بشخص يقوم بإيصال الصبيان من بيوتهم إلى المكتب ثم ردهم إليها بعد انتهاء الدرس ، وهذا الشخص المكلف بمثل هذه المهمة يسمى «ا لسائق » .

ويجب أن تتوفر فيه بعض الصفات منها : أن يكون أمينا ، وموثوقا به ، ومتزوجا ، لأنه ينفرد بالصبيان - أحيانا - بالأماكن الخالية ، ويدخل على النساء[٤٠].

مـدة الدراسـة في الكـتاتيب

ليست هناك مدة محددة من عمر الصبي ، يجب أن ينهي فيها الدراسة في الكتاتيب ، وإنما يعتمد ذلك على قوة حفظه وذكائه وحسن فهمه . فهناك من يستطيع أن يجتازها قبل العاشرة ، وهناك من لا يجتازها إلا بعد البلوغ بقليل .

ولما كان القرآن الكريم ، هو العمود الأساسي في منهج الكتاتيب ، ويأخذ قسطا كبيرا من اليوم الدراسي في تعلمه وحفظه ، لذلك كان الانتهاء من حفظه وتجويد تلاوته يمثل الدلالة على الانتهاء من مرحلة الكتاتيب . وعند بلوغ الصبي هذه المرحلة من التعلم ، يُجرى له اختبار حتى يُثبت فيه قدرته . فمن الطلاب من يستطيع أن يثبت إجادته لحفظ القرآن الكريم من أوله إلى آخره مع ضبط الشكل والإعراب والفهم وحسن الخط . ويليه في ذلك من يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم في المصحف مع ضبط الشكل والهجاء وعند اجتياز الصبي لهذا الاختبار يعطيه معلمه شهادة بختم القرآن الكريم ، تسمى الختمة(٤١) .

وعادة يحصل الصبي على مثل هذه الإجازة أو الشهادة في سن العاشرة تقريبا . ويدل على ذلك ، ما ذكره الفاسي(٤٢) عن نفسه من أنه حفظ القرآن الكريم وجوَّده في مثل هذه السن تقريبا . إلا أن ذلك لا يمنع القول بأن هناك صبيانا كانوا يحصلون عليها قبل هذه السن أو بعدها ، بل إن بعض الصبيان يصلون مرحلة البلوغ ، وهم لم يحصلوا على مثل هذه الإجازة ، لذلك يجب أن لا يتركوا في الكتاتيب(٤٣) وعلى هذا نجد أن المدة التي يقضيها معظم المتعلمين في الكتاتيب كانت تتراوح ما بين سبع إلى ثماني سنوات تقريبا .

الاحتـفـال بختم الصبي للقرآن الكـريم

وبعد إعلان ختم الصبي للقرآن الكريم ، يلزم أهله - عادة - بعمل حفل يكرم فيه المعلم ، ويُدعى مع صبيان المكتب لهذا الحفل الذي يسمى « الإصرافة » حيث تزين أرض المكتب وحيطانه وسقوفه بالحرير ، ويزين الصبي بقلائد الذهب والعنبر ، ثم يركب على فرس أو بغلة مزينة ، وتُحمل أمامه أطباق فيها ثياب من حرير وعمائم ، في حين يمشي بين يديه صبيان المكتب ينشدون طوال الطريق حتى يوصلوه إلى بيته ، وعند البيت يدخل المعلم ويعطي اللوح المكفت - عادة - بالفضة في خرقة حرير ، لأم الصبي فتعطيه ما تقدر عليه من المال(٤٤) .

أما إذا كان الصبي أحد أبناء علية القوم في مكة فإن احتفال ختمه يكون - عادة - في المسجد الحرام ، ويحدد له إحدى ليالي الوتر من الليالي العشر الأواخر من رمضان ، ويحضر الحفل - عادة - وجهاء البلد مثل القضاة وكبار العلماء . ويكون الصبي ، قد صلى بجماعة

منهم صلاة التراويح طوال شهر رمضان حتى يصل إلى الليلة المحددة لختمه من ليالي الشهر ، وتكون - عادة - إحدى ليالي الوتر من العشر الأواخر . وابتهاجا بهذه المناسبة يحتفل والده بالإعداد لهذا الحفل بتلك الليلة بالزينة وإضاءة مكان الحفل بالشموع .

وقد حضر ابن جبير[٤٥] إحدى هذه الاحتفالات فوصف لنا ذلك بقوله :

« إنه أعد له ثريًا مصنوعة من الشمع مغصنة ، قد انتظمت أنواع الفواكه الرطبة واليابسة ، وأعد لها شمعا كثيرا ، ووضع في وسط الحرم مما يلي باب بني شيبة ، شبيه المحراب المربع من أعواد مشرجبة ، قد أقيم على قوائم أربع ، وربطت في أعلاه عيدان نزلت منها قناديل ، وأسرجت في أعلاها مصابيح ومشاعيل ، وسمر دائر المحراب كله بمسامير حديدة الأطراف غرز فيها الشمع فاستدار بالمحراب كله ، وأوقدت الثريا المغصنة ذات الفواكه ، وأمعن الاحتفال في هذا كله ، ووضع بمقربة من المحراب منبر مجلل بكسوة مجزعة مختلفة الألوان .

وحضر الإمام - الطفل - فصلى التراويح وختم . وقد انحشد أهل المسجد الحرام إليه ، رجالاً ونساءً ، وهو في محرابه ، لا يكاد يبصر من كثرة شعاع الشمع المحدق به ، ثم برز من محرابه رافلاً في أفخر ثيابه ، بهيبة إمامية ، وسكينة غلامية ، مكحل العينين ، مخضوب الكفين إلى الزندين ، فلم يستطع الخلوص إلى منبره من كثرة الزحام ، فأخذه أحد سدنة تلك الناحية في ذراعه حتى ألقاه على ذروة منبره ، فاستوى مبتسما ، وأشار على الحاضرين مسلما ، وقعد بين يديه قراء فابتدروا القراءة على لسان واحد ، فلما أكملوا عشرًا من القرآن ، قام الخطيب ، فصدع بخطبة ، تحرك لها أكثر النفوس من جهة الترجيع ، لا من جهة التذكير والتخشيع ، وبين يديه في درجات المنبر نفر يمسكون أتوار - أي أواني صغيرة - الشمع في أيديهم ، ويرفعون أصواتهم ... يارب يارب عند كل فصل من فصول الخطبة ، يكررون ذلك ، والقراء يبتدرون القراءة في أثناء ذلك فيسكت الخطيب إلى أن يفرغوا ، ثم يعود لخطبته ، يتمادى فيها متصرفا في فنون من التذكير .

وفي أثنائها اعترضه ذكر البيت العتيق - كرمه الله - فحسر عن ذراعيه مشيرا إليه ، وأردفه بذكر زمزم والمقام ، فأشار إليهما بكلتا إصبعيه ، ثم ختمها بتوديع الشهر المبارك ، وترديد السلام عليه ، ثم دعا للخليفة ولكل من جرت العادة بالدعاء له من الأمراء ، ثم نزل ، وانفض ذلك الجمع العظيم . وقد استظرف ذلك الخطيب واستنبل ، وإن لم تبلغ الموعظة من النفوس ما أمل ، والتذكرة إذا خرجت من اللسان لم تتعد مسافة الآذان » .

ثم ذكر ابن جبير أن الأعيان من ذلك الجمع ، خصوا بطعام حفيل وحلوى على عادتهم في مثل هذا الاحتفال ، وكانت لأبي الخطيب في تلك الليلة نفقة واسعة في جميع ما ذكر .

وقد وصف لنا ابن فهد أيضا في كتابه « إتحاف الورى »[٤٦] الاحتفال بختم ابن شريف مكة - في ذلك الوقت - في ليالي رمضان سنة ٨٨٢ :

« حيث صلى بالناس التراويح بجميع القرآن بالمسجد الحرام ، على يمين مقام المالكية ، وجعل له حطيم من الخشب ، جعل ستة أخشاب متقابلة ، وبين المقدمتين خشبا وعلق فيه الثريات والقناديل ما لا

يوصف عده ، وأوقد من الشموع في تلك الليالي ما لا يحصى . وكان في كل ليلة من الليالي يخرج المصلي من بيت والده في زفة عظيمة فيها جماعة من الأعيان وتتلقاه من باب المسجد القضاة ، ويمشون معه إلى مصلاه ، ثم إلى باب المسجد ، إذا فرغ من الصلاة ، ويستمر من عداهم معه إلى البيت ، ويصلي خلفه القضاة والأعيان من الفقهاء والأمراء والأتراك والتجار وغيرهم . ويصلي على يمين المصلي فقيهه ، وعلى يساره القاضي جمال الدين أبو السعود بن قاضي القضاة برهان الدين ، وخلفهم أمام الصف الذي فيه المصلون ، المكبرون ، وهم ستة يكبر الكل تهليلة واحد منهم إلا الأخيرة كل مكبر يكبر لركعتين ، والوتر يكبر لها المكبر الأول .

وفي ليلة الختم زف المصلي راكبا من البيت إلى باب الصفا ، ثم إلى المسعى ، ثم إلى باب السلام ، ودخل منه ، وزيد في الشموع والوقيد أضعافا مضاعفة ، ومشى فيها جميع الناس إلا النادر . وكان من جملة الماشين والده ، ولكن من باب الصفا ، وأنشد المنشدون خلف الختم ، ومنهم الشيخ نابت الزمزمي ، أنشد بنفسه قصيدتين ، وخلع عليه وعلى جماعة المكبرين وشيخ القراء والفراشين وجملة ذلك أربع عشرة خلعة وغالبها عطية لمن خلعه عليه . وأعطى المكبرون والمنشدون والقراء والفراشون والوقادون ، والسقاء الذي بدوارق زمزم تضعها أمام الناس ، وواضع الخشب ، ما انشرحوا به ، بل وفرق على الختم جملة من الحلاوات من أصناف عدة على القضاة والفقهاء والتجار والأمراء والأجناد والغرباء وكثير من العوام ، وممن لا يؤبه له بحيث كان ذلك مما يضرب به المثل » .

وبعد أن ينهي الصبي مرحلة الكتاتيب فإنه يسلك أحد طريقين :

أولهما : هو أن يستمر في التعلم والتحصيل في العلوم الشرعية والعقلية في حلقات الدرس في المساجد والمدارس في مكة وفي غيرها من بلاد المسلمين . ويأخذ العلم في هذه الحلقات عن علماء متخصصين في كل فرع من فروع المعرفة ، حتى يحصل على الشهادات أو الإجازات من هؤلاء العلماء بالإذن له بنقل العلم عنهم ، وبذلك يمكنه أن يجلس للتدريس ويتولى بعض الوظائف الدينية أو الإدارية .

الثاني : أن يكتفى الصبي بما تعلم ، ولا تكون عنده الهمة لزيادة التحصيل ، ولم يلق التشجيع من أولياء أمره على ذلك ، فبعضهم يكون والده بحاجة إليه في عمله ، فيتدرب على مهنة والده ، ثم يعمل بها بعد ذلك . وبعضهم يمتهن حرفة الكتابة للناس ، أو يبقيه المعلم يعمل معه كعريف في الكتاتيب حتى يبلغ ، ثم بعد ذلك يفتح له مكتبا يعلم فيه الصبيان .

منــــزلة معـــلم الصبيـان

أما منزلة معلم الصبيان ، فلاشك أنها مهنة محترمة ، ويأتي احترام الناس لها ممّا يقدمه صاحبها من خدمة لأبناء المجتمع ، وأهم هذه الخدمات تعليمهم أقدس وأفضل كتاب عندهم ، ألا وهو كتاب الله . والرسول - صلى الله عليه وسلم - قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »(٤٧) . وقراءة القرآن الكريم ليست كقراءة أي كتاب ، فهي تحتاج إلى معلم ، بل لابد لمن

أراد أن يقرأ القرآن الكريم قراءة صحيحة من تلقيه من فم قارىء مجود لتلاوته . بالإضافة إلى ذلك فهو يعلمهم أيضا الكتابة والقراءة والعقيدة وبعض المعارف الأخرى فيمحو عنهم الجهل ، ويفتح لهم الطريق لتلقي مزيد من العلم .

ومن ناحية أخرى ، نجد المعلم يقدر احترام الناس له ، ويحرص على كسب ثقتهم ، ويخلص النصح في عمله طلبا لرضا الله ، لأنه يعلم أفضل الكلام ، وأصدق التنزيل ، كتاب الله تعالى . فنجده يقنع بما يُعطى احتسابا للثواب من عند الله .

ولكن بالرغم من هذا الاحترام والثقة بمعلم الكُتَّاب ، نجد أن بعضهم ، إن لم يكن أكثرهم خلع من نفسه الصفات والواجبات التي يجب أن يتحلى بها معلم الكُتَّاب ، ولم يقنع بما يُعطى ، بل يشترط ويشتط بالأجرة ، وينتظر الهدايا والأعطيات من أولياء الأمور في الأعياد والمناسبات الأخرى ، بل يطلبها ممن ليس له ابن في الكُتَّاب مثل الرجل إذا تزوج أو رزق بولد(٤٨) .

ثم إنهم لم يخلصوا في تعليم الصبيان ، بل نجدهم يتركونهم ، ويذهبون لأداء شهادة عند القاضي ، أو قضاء بعض الأعمال التي تخصهم أو تخص غيرهم . فبذلك يضيع معظم اليوم الدراسي بلا فائدة .

ومن أجل ذلك ، حدثت كثير من المشاكل بينهم وبين أولياء الأمور ، الذين يتهمونهم بالتقصير وأكلهم الأجرة باطلا . لذلك نجد كثيراً من التربويين الإسلاميين أمثال ابن سحنون والقابسي والغزالي وغيرهم . وممن ألفوا في الحسبه أمثال الشيزري وابن الأخوة وغيرهم ، ألفوا الكتب لحل مثل هذه المشاكل . وطالبوا المعلم بإخلاص العمل ، وأداء الواجب ، كما طالبوا أولياء الأمور بإعطاء هؤلاء المعلمين حقوقهم .

ونتيجة لهذه المشاكل ، بدأ كثير من الناس يتذمرون من معلمي الكتاتيب ويصفونهم بالتعسف والإهمال ، بل بعضهم وصفهم بالحمق ، فقيل « أحمق من معلم كُتَّاب » ونسب إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – أحاديث تصفهم بأشرار الأمة(٤٩) .

ولكن هذا لا يعني أنهم أدنى فئات المجتمع ، ولكنهم أدنى فئات المعلمين ، ذلك أننا نجد تراجم لبعضهم في كتب التراجم ، بينما لا نجد تراجم لبعض أصحاب الحرف الأخرى مثل : النجارين ، والحدادين ، والخياطين ، وغيرهم . وذكر بعضهم في مثل هذه الكتب يعني أن مؤلفي كتب التراجم ، لم ينكروا فضلهم في تربية النشء ، وما يسهمون به في خدمة المجتمع .

تعـــليم الفتـــاة

وقبل أن ننهي الحديث عن هذه المرحلة ، لابد لنا أن نعرج على الحديث عن تعليم الفتيات الصغيرات ، فمن المؤكد أن تعليم هؤلاء كان أقل انتشارا من تعليم الصبيان ، لأن كثيراً من الفقهاء ورجال التربية الإسلاميين ، نهوا أن تتعلم الفتيات مع الصبيان ، خشية من الفساد[٥٠] . بل إن بعضهم نهى أن تتعلم البنت الخط ، لأن ذلك مما يزيدها شرا[٥١] . ومع ذلك تسامح بعضهم في تعليمهن شيئًا من الشعر والكلام الذي لا فحش فيه ولا تبذل[٥٢] .

ومن ذلك يظهر إقرار هؤلاء بوجوب تعليم الفتاة ، لأن معظم التكاليف في العبادة وغيرها جاءت على السواء للرجل والمرأة ، ولكن بشروط منها :

١ - أن تقوم بتعليمها معلمة[٥٣] ، أو أحد والديها[٥٤] ، أو إحدى قريباتها[٥٥] .

٢- أن لا تختلط بالصبيان[٥٦] .

٣- أن يحرص على تعليمها حفظ القرآن الكريم أو بعضٍ منه[٥٧] .

٤- أن تتعلم ما يصلح عقيدتها ، ويفيدها في استقامة عبادتها كأحكام الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغيرها[٥٨] .

ونتج عن ذلك أن نسبة المتعلمات في ذلك العهد ، كانت أقل من نسبة المتعلمين ، وربما ذلك يعود لأسباب منها :

١ - شدة حرص أولياء أمر الفتاة عليها ، ومنعها من الخروج والاختلاط بالرجال لئلا يؤدي ذلك إلى تعرضهن للأذى من أصحاب السوء .

٢- عدم قدرة المرأة على الخروج من بلدها لطلب العلم ، إلا مع محرم لها . بالإضافة إلى أن السفر فيه مشقة وتعب عليها .

٣- حاجة الأولاد للرعاية يمنعها أيضا من الخروج من بيتها لطلب العلم حتى في بلدها .

ولكن بالرغم من ذلك ، نجد أن بعض الفتيات أخذن بنصيب كبير من التعليم ، فقام بتعليمهن أهلهن في دورهن ، أو ذهبن إلى معلمة كُتَّاب . وبعضهن حفظن القرآن الكريم وهن صغيرات على يد أحد أقاربهن ، وأحيانا على يد مقرىء معروف من غير أهلهن ، ثم إذا كبرن أكملن تعلّم تلاوته على يد مقرئة ، حتى أن بعضهن أجدن تلاوته على معظم القراءات[٥٩] . بالإضافة إلى تعلمهن القراءة والكتابة وحفظ بعض الكتب الدينية في الحديث والفقه والتجويد وغيرها[٦٠] .

كما أنه من الملاحظ أن كثيرًا من البنات المتعلمات لا يعرفن القراءة والكتابة ، والقليل منهن يعرفن ذلك بدليل ذكر بعض من ترجم لبعض المتعلمات في ذلك العهد في ترجمة بعضهن إنهن يعرفن الكتابة بينما لا يذكرون ذلك في تراجم بعضهن ، بل يذكرون حفظهن للقرآن الكريم وبعض المتون في العقيدة والفقه وغيرها . وهذا يدل على أن معظم المتعلمات يعتمد في تعليمهن على الحفظ والتلقين . وربما يعود السبب في ذلك إلى نهي بعض الفقهاء عن تعليمهن الخط ، كما ورد سابقا .

على أن الأسر التي يكثر فيها العلماء في مكة مثل أسرة الطبري والنويري وبنو ظهيرة والفاسي يحرصون على استمرار نسائهم في التعلم ، وخصوصا في حفظ الحديث . فنجد أنهن يتلقين حفظ الأحاديث من آبائهن أو أجدادهن(٦١)، أو أزواجهن(٦٢)، أو بعض قريباتهن كالجدة(٦٣)، والعمّة(٦٤)، وأغلبهن يتلقين العلم عن طريق السماع ، عن كثير من علماء مكة(٦٥)، أو عن طريق الإجازة أي من غير التلقي مباشرة من الشيخ(٦٦)، وبعضهن يحصلن على الإجازة من علماء في بلدان أخرى من غير التلقي عنهم مباشرة نظرًا لتعذر سفر المرأة لتلقي العلم ، مثل علماء بغداد(٦٧)، أو مصر(٦٨)، أو الشام(٦٩). وعادة ما تكون الإجازات التي من خارج مكة بطلب من أحد أقاربهن الذين سافروا إلى تلك البلاد ، والتقوا بعلمائها ، وأخذوا العلم عنهم . لذلك نجد أن بعضهن حصلن على إجازات من عدد من مشايخ الحديث في مكة وفي غيرها من البلاد . وهذا بدوره يؤهلهن لرواية الحديث لغيرهن من طلبة العلم سواء من أفراد أسرهن أو غيرها من طلاب العلم عن طريق السماع(٧٠)، أو عن طريق الإجازة(٧١) فلا يستغرب إذا وجدنا بعض علماء مكة يذكرون بعضهن ضمن المشايخ الذين تلقوا عنهم رواية الحديث عندما يؤلفون كتابا فيه ذكر مشايخهم الذين تلقوا عنهم هذا العلم(٧٢)، بل إن إحداهن بلغت مرتبة كبيرة في رواية الحديث حتى لقبت بالمسندة ، لأنها حفظت معظم كتب الحديث ، وأخذ عنها كثير من علماء مكة هذا العلم(٧٣)، وأخرى ألفت كتابًا في خمسة مجلدات(٧٤).

مرحلة ما بعد الكتاتيب

من خلال استقراء كتب التراجم التي ترجمت للمتعلمين من أهل مكة ، يمكن تقسيم هذه المرحلة إلى مرحلتين :

الأولى : مرحلة متوسطة ، وهي ما بين مرحلة الكتاتيب ومرحلة الدراسات العليا والتخصص .

الثانية : مرحلة الدراسات العليا والتخصص .

المرحلة المتوسطة

ففي هذه المرحلة يبدأ الطالب بالدراسة على المشايخ ، حيث يبدأ في حفظ بعض أجزاء من الحديث مثل الأربعين النووية ، وفي الفقه يحفظ بعض المختصرات حسب مذهبه الفقهي ، فالشافعية يحفظون المنهاج للإمام النووي ، والعمدة للإمام أبي بكر محمد الشاشي ، والتنبيه للإمام أبي إسحاق إبراهيم الشيرازي . والمالكية يحفظون رسالة الإمام أبي زيد المالكي القيرواني ، ومختصر الشيخ خليل المالكي . أما الحنفية فيحفظون كتاب كنز الدقائق للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ، وكتاب المختار في فروع الحنفية لأبي الفضل مجد الدين عبد الله بن محمود الموصلي الحنفي . وأما الحنابلة فيحفظون كتابي عمدة الأحكام والمقنع للإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة .

أما في القراءات ، فيتعلمون القراءات المختلفة مع حفظ منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للشيخ القاسم بن فيره الشاطبي المعروفة بالشاطبية . وفي التجويد يحفظون المقدمة الجزرية ، وهي منظومة للشيخ محمد الجزري . وأما في النحو فيحفظون منظومة الألفية لأبي عبدالله محمد بن عبد الله بن مالك .

وهكذا نجد أن التركيز في هذه المرحلة على العلوم الدينية والنحو ، ويقل الاهتمام بتعلم العلوم الدنيوية ، مثل الحساب والطب والهندسة والكيمياء . إلا أن بعض المتعلمين يهتم بتلقي علم الفرائض ، وهو وإن كان علما دنيويا إلا أن له صلة بالدين حيث يبين كيفية تقسيم تركة الميت .

أما غيرها من العلوم ، فيهتم بها قلة نادرة من المتعلمين ، عن طريق الممارسة لبعض الأعمال ومصاحبة أهل الخبرة فيها . فيمكن أن يبرع بعضهم في الطب والصيدلة إذا كان له اهتمام بالعطارة ، ويهتم بعضهم بالحساب والهندسة إذا كان له اهتمام بالعمارة والبناء ، ويهتم بعضهم بالكيمياء إذا كان له اهتمام بالصناعة ، والفلك إذا كان له اهتمام بالمواقيت كمعرفة أوقات الصلاة وأوائل الشهور القمرية .

مرحلة الدراسات العليا والتخصص

وعند انتهاء المتعلم من حفظ هذه المتون المختصرة سواء في الحديث أو الفقه أو النحو وغيرها ، فإنه يكون قد أخذ أساسيات المعرفة ومبادىء الدين ، والأحكام الأساسية في مذهبه الفقهي . وبعدها يمكنه الانطلاق في رحلة التعلم بشكل واسع ويطلع على كتب الحديث والفقه الموسعة . فالعادة جرت أن يبدأ بالاطلاع على كتب الصحاح في الحديث فيبدأ عادة

بصحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك ثم بعدها يعرج على كتب الحديث الأخرى مثل : جامع الترمذي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه وسنن النسائي ومسند الإمام أحمد بن حنبل وغيرها من كتب الحديث . ويطلع أيضا على كتب الفقه وشروحها ، حيث يمكنه في هذه المرحلة دراسة كتب الفقه في مذهبه بالإضافة إلى دراسة كتب الفقه على المذاهب الأخرى[٧٥] بجانب ذلك يتوسع بعضهم في دراسة النحو ويطلع على كتب التصوف .

أما أهم ميزة تميز طالب العلم في هذه المرحلة عن غيره من طلاب العلم في المرحلتين السابقتين ، فهي قيامه بالرحلة لطلب العلم ، بعد أن يحصل في بلده على ما لدى علمائها من العلم ، فيترك بلده وينتقل من بلد إلى بلد يأخذ العلم من علمائها ، ويدرس عليهم ويستفيد من مجالستهم . وأهم ما يريد أن يناله الطالب من قيامه بالرحلة هو أخذ مرويات الحديث من شيوخ هذه البلاد أو تلك ، وأخذ إجازة منهم برواياتها عنهم . ثم تأتي دراسة الفقه في المرتبة الثانية بعد الحديث ، ويليه غيره من العلوم كالنحو وغيره .

وهكذا نجد أن الطلاب الطموحين للتزود من العلم ، يسارعون بالقيام بمثل هذه الرحلات ويتحملون مشاقها ويستسهلون صعابها من أجل العلم . لذلك نجدهم يقطعون المسافات الطويلة ويتنقلون من بلد إلى بلد ويتحملون شظف العيش ووعثاء السفر من أجل ذلك .

وعادة يبدأ الطلاب الرحلة وترك بلدهم عند بلوغهم العشرين من العمر . فالعادة أن يبدأ طلاب العلم في مكة في ذلك الوقت بالرحلة إلى المدينة المنورة ثم بعدها إلى مصر وبلاد الشام واليمن . وقد يترددون على البلد الواحد عدة مرات أثناء الرحلة قبل عودتهم إلى بلدهم كما أنهم قد يقومون بأكثر من رحلة من بلدهم إلى بلد ما لتحقيق هدفهم . وأكثر البلاد التي يرحلون إليها في العادة أكثر من مرة هي مصر . ولعل ذلك يعود لأن مصر في ذلك الوقت كانت مركز الخلافة العباسية ، ومقر السلاطين المماليك الذين يتبع لهم الحجاز ، بالإضافة إلى أنها بلد آمن بسبب ما أصاب العراق وبلاد الشام من أضرار نتيجة الغزو الصليبي والمغولي . فهي بذلك تمثل مركز ثقل سياسي كبير في العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، ساعد على جذب عدد كبير من العلماء إليها .

ولم يقتصر القيام بالرحلة على الطلبة القادرين ماديا ، وإنما قام بها أيضا الطلاب الفقراء وقد شجع جميع هؤلاء على القيام بمثل هذه الرحلات عدة عوامل ، لعل منها :

١- ورود كثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والأقوال المأثورة عن بعض السلف في الحث على طلب العلم ، والتزود منه ، والسعي له .

٢- الحث على السعي والاستماع إلى حلقات الذكر ، وأن الوقت الذي يمضيه طالب العلم

في البحث والدرس أفضل عند الله من الانقطاع للعبادة .

٣- الاقتداء بالسلف الصالح في شدة حرصهم على طلب العلم والسعي له والرحلة إليه وتحمل المشاق ، ولو من أجل حديث واحد .

٤- تشجيع المشايخ لطلابهم للسعي لطلب العلم والقيام بالرحلة للتزود منه .

٥- السمعة العلمية لبعض العلماء التي كانت تجعل كثيرا من الطلاب يرحلون للأخذ منهم .

٦- كانت الرحلات تزيد من مكانة طالب العلم في مجتمعه ، فبقدر ما كان يقوم به من رحلات ، وبقدر كثرة المشايخ الذين تلقى العلم عليهم تزيد مكانته العلمية والاجتماعية في مجتمعه .

٧- الرحلات تساعد طالب العلم على أخذ كثير من الإجازات من العلماء في بلدان مختلفة ، وهذا يؤهله لتولي عدد من الوظائف الدينية والقيام بالتدريس .

٨- قيام كثير من السلاطين والأغنياء ببناء دور لسكنى طلبة العلم المغتربين ، والصرف عليهم والقيام بخدمتهم .

٩- قيام كثير من المشايخ بمساعدة طلابهم المغتربين ، والصرف عليهم ، وحث طلابهم المقيمين على مساعدتهم .

١٠- قيام بعض المشايخ بتحمل نفقات طلابهم الفقراء عند حثهم على الرحلة ، أو أثناء مرافقتهم لهم في الرحلة .

١١- تعاون الطلاب فيما بينهم أثناء قيامهم بالرحلة بتحمل مصاريف الرحلة ومشاقها .

١٢- انتشار اللغة العربية وكونها اللغة الرسمية في معظم البلاد الإسلامية ، وهي كذلك لغة العلم والتخاطب ، قد ساعد ذلك على القيام بالرحلات العلمية .

١٣- الرغبة في أخذ العلم من أفواه المشايخ ، لا من الكتب ، حتى لا يقعوا في التصحيف أو التحريف .

وبالإضافة إلى قيام طلاب العلم بمكة بالرحلات لتلقي العلم في مراكزه المختلفة في عدد من البلدان ، فإن مكة حظيت بخاصية عن غيرها من البلدان وهي رغبة عدد من العلماء في المكوث بها بعض الوقت ، وقد تكون سنين ، وهو ما اصطلح عليه باسم المجاورة . فقد جاء إلى مكة عدد من العلماء القادمين من مختلف البلاد الإسلامية ، وتعود أسباب المجاورة لعوامل

كثيرة منها :

١- الرغبة في زيادة الأجر والثواب بالتعبد في المسجد الحرام ، حيث العمل الصالح فيه يضاعف مرات كثيرة عن غيره من البلاد .

٢- الرغبة في قضاء بقية العمر في تبتل وعبادة بجوار البيت الحرام .

٣- الرغبة في التزود من العلم من علماء مكة .

٤- الرغبة في إعطاء ما عنده من العلم احتسابا لله تعالى .

٥- الرغبة في هجر بلده بعد مشكلة سياسية أو خلاف مع علمائه .

وبعض العلماء قد يجاور مرة واحدة ، وبعضهم قد يجاور عدة مرات ، وبعضهم يجاور بمكة ليحظى بالموت بها والدفن في أرضها .

وأثناء المجاورة يقوم بعض العلماء بإلقاء الدروس ، ومنح الإجازات العلمية لطلاب العلم . وفي الوقت نفسه يستفيدون من إقامتهم بأخذ العلم عن علماء مكة والدخول معهم في نقاش يعود على العلم وطلابه بالنفع الكثير .

وبعضهم جاور بمكة مدة طويلة ، بحيث إنه استقر وتزوج بها ، وأصبح المرجع في علمه[٧٦] وبعضهم تولى وظائف تعليمية ودينية ومشيخة رباط بمكة[٧٧] . ومعظمهم يلقي دروسه في المسجد الحرام تطوعا ، وعندما يعجز عن الحركة يواصل تدريسه في بيته ، وعندما يعود بعضهم إلى دياره أو يموت يوقفون كتبهم على طلبة العلم بمكة ، حيث كان في المسجد الحرام مستودع لحفظ الأشياء الموقوفة ومنها الكتب[٧٨] .

أماكن التعليم في مكة

عادة تكون اللقاءات العلمية في مكة في ذلك العهد ، إما في المسجد الحرام أو في المدارس الموجودة في مكة ، أو في بيوت بعض العلماء ، أو في الأربطة ، حيث يلقي العلماء في هذه الأماكن دروسهم في مختلف العلوم الدينية واللغوية بشكل خاص ، وغيرها من العلوم بشكل عام ، والتي يقبل عليها طلاب العلم من أهل مكة والمجاورين .

الدراسة في المسجد الحرام

للمسجد الحرام دور كبير في الحركة التعليمية بمكة ، إذ ينتشر في أرجائه العلماء يلقون دروسا في مختلف العلوم ، فهذا يلقي درسا في التفسير وذاك درسا في الفقه وآخر في الحديث

وهكذا . ويتحلق حولهم الطلاب ما بين منصت ومدوِّن .

ومما لاشك فيه أن الحركة التعليمية في مكة ، كانت تنشط أيام موسم الحج لقدوم كثير من علماء البلدان الإسلامية الأخرى لمكة ، وإلقائهم لبعض الدروس في المسجد الحرام تطوعا ورغبة في إفادة طالب العلم بمكة بما عندهم ، أو بالمناظرات والمناقشات التي تحدث بينهم وبين علماء مكة فيستفيد منها طلاب العلم ، وتمتلىء بهم جنبات المسجد الحرام .

تعيين المدرسين في المسجد الحرام :

المدرسون في المسجد الحرام يمكن تصنيفهم إلى ثلاث فئات حسب تعيينهم :

١ - فئة تلقي دروسها تطوعا احتسابا للأجر من الله سبحانه وتعالى[٧٩] .

٢ - فئة يعينها أحد كبار رجال الدولة لتدريس درس في فقه مذهب من المذاهب ، أو درس في الحديث[٨٠] .

٣ - فئة يعينها السلطان لتدريس درس في الفقه . مثل دروس السلطان الأشرف شعبان في فقه المذاهب الأربعة ودرس الحديث[٨١] .

لذلك نجد أن للفئة الأولي حرية اختيار موضوع الدرس ، بينما الفئة الثانية والثالثة مقيدة بشرط الواقف الذي عينه ، وليس له حرية الاختيار .

ومن تلك الدروس الموقوفة في المسجد الحرام :

● درس الحديث لوزير بغداد ، محمود بن على بن شروين (المتوفى سنة ٧٤٨هـ) ابتدأ في سنة ٧٤٧هـ ، وله أيضًا درس بتلقين القرآن الكريم[٨٢] .

● درس الأمير يلبغا بن عبد الله الناصري في الفقه الحنفي ابتدأ سنة ٧٦٣[٨٣] .

● درس الأمير أيتمش في الفقه الحنفي[٨٤] .

● درس بشير الجمدار[٨٥] .

● درس ناصر الدين محمد بن أحمد بن سلام[٨٦] .

● درس محمد بن جمعة الهمذاني (المتوفى ٨٦٨) في الفقه الحنفي[٨٧] .

● درس خايربك[٨٨] .

● درس الحديث لإسماعيل بن زكريا[٨٩] .

- درس الحديث للسلطان شاه شجاع - صاحب بلاد فارس ، بدأ سنة ٧٧١هـ ، تقريبا ، وجعل للمدرس نحو مائتي مثقال في السنة[٩٠].
- درس بدر الدين الخروبي ، أحد تجار الكارم[٩١].

ويحاول أصحاب هذه الدروس استقطاب أشهر علماء مكة في موضوع الدرس الذين يرغبون الصرف عليه ، ووقف الأوقاف من أجله . وعادة يكونون قضاة مكة[٩٢]، بل نجد أن أحد قضاة مكة نازع أحد العلماء في تدريس أحد الدروس بحجة أن العادة أن يتولى تدريسه من يتولى القضاء[٩٣] أو أحد أئمة المقامات[٩٤] أو غيرهم من كبار العلماء . ويجزلون لهم العطاء بحيث إن أحدهم أعطى مدرس درسه مائتي مثقال في السنة[٩٥].

وبالإضافة إلى هؤلاء المدرسين لهذه الدروس الموقوفة ، كانت هناك دروس في الوعظ والتي تسمى الميعاد أو المواعيد ، وغالبا ما يقوم بها صاحبها تطوعا وحبا للنصح للناس[٩٦]، وأحيانا يحصل على مقابل مالي كبير لقاء قيامه بإلقاء هذه المواعيد ، مثال ذلك كوفيء أحدهم بخمسة آلاف درهم سنويا من بيت مال القاهرة ، لقاء عمله ميعادا[٩٧].

كما أن هناك دروسا أخرى في المسجد الحرام في مواد أخرى ، وأهمها قراءة القرآن الكريم ، فهناك كثير من القراء الذين انتشروا في جنبات المسجد الحرام يعلمون تلاوة القرآن الكريم[٩٨]. وبعضهم يدرس الحديث[٩٩]، أو التفسير والنحو[١٠٠].

وفي العادة ، يتخذ هؤلاء المدرسون مكانا محددا لهم للجلوس فيه لإلقاء دروسهم في المسجد الحرام ، إما في أحد المقامات[١٠١] أو قرب أحد أبواب المسجد الحرام[١٠٢]، أو في أحد أروقته[١٠٣].

ورغم جهود صاحب الدرس لاستمرار درسه بالصرف عليه ، إلا أنه غالبا ، ما يتوقف الدرس إما بوفاة صاحبه أو تعطل أوقافه[١٠٤].

معاونو المدرس في الدروس الموقوفة بالمسجد الحرام

ولمساعدة المدرس على القيام بأداء واجبه التعليمي ، نجد أن صاحب الدرس ، بالإضافة إلى إعطائه للمدرس راتبا مغريا ، نجد أنه كان يعين أشخاصا لمساعدة المدرس للقيام بعمله ومن هؤلاء :

١- شيخ الدرس : وعمله هو النظر في شؤون الدرس ومن مهامه[١٠٥]:

أ - تعيين المدرس والمعيد ، ويحدد عدد الطلاب بالدرس ويقبلهم .

ب - الإشراف على الوقف وتنميته وتحصيل ريعه .

جـ - الصرف على الدرس بإعطاء المدرس والمعيد والطلاب مخصصاتهم .
د - تحديد مكان الدرس .

٢- المعيـــد : وهو الذي يتولى شرح ما غمض على الطلاب بعد شرح المدرس . وعلى الرغم من أن هذه الوظيفة تأتي في المرتبة الثانية بعد المدرس ، إلا أننا نجد أن الذي يتولاها عادة شخص ذو منزلة علمية جيدة ومكانة اجتماعية مرموقة ، مثل القاضي ، أو أحد أئمة المقامات بالمسجد الحرام(١٠٦) . لذلك نجد أحيانا المعيد في درس بالمسجد الحرام يكون مدرسا في درس آخر(١٠٧) .

٣- قـــارىء : يقوم بمساعدة المدرس في القراءة من كتاب ثم يقوم المدرس بعد قراءة كل فقرة بالشرح(١٠٨) .

وبالإضافة إلى ذلك ، نجد أن الواقف يخصص مبلغًا من المال لطلبة درسه يوزع عليهم ، حتى يُقبل الطلاب عليه ، وتحصل بذلك الفائدة المرجوة من الدرس(١٠٩) .

إلا أن هذه الجهود والأموال التي تبذل من أجل استمرار الدرس ، عادة لا تقنع المدرس ولا المعيد بالاكتفاء بعملهم بدرس واحد ، وحصر جهودهم عليه ، فنجد أن عددا من المدرسين يدرسون في عدد من الدروس في المسجد الحرام ، بالإضافة إلى تدريسهم ، أيضا ، في عدد من المدارس بمكة مع توليهم لعدد من الوظائف الدينية والإدارية بمكة(١١٠) . والحال ينطبق تماما على المعيد(١١١) .

ولا يستطيع أحد أن يمنع المدرس المتطوع من إلقاء درسه في المسجد الحرام ، إلا بعد عقد مجلس يحضره شريف مكة وقضاة المذاهب وناظر الحرم وغيره من الأعيان ، ويكتب به تقرير ، ويرسل إلى السلطان بمصر(١١٢) .

كما أن للمدرس أن يجعل له نائبا يلقي الدرس نيابة عنه ، وقد يتنازل له عن الوظيفة ، ويستمر النائب بعد وفاة موكله حتى يصدر قرار آخر إما ببقائه أو عزله(١١٣) . وغالبا ما يكون النائب ولده(١١٤) . كذلك الحال بالنسبة للمعيد فله أن ينيب أحدا مكانه ويتنازل له عن الوظيفة(١١٥) .

أما الطلبة في مثل هذه الدروس فيحق لهم كذلك التنازل عمّا يصرف لهم ، لمن شاءوا وعادة يكون التنازل للابن(١١٦) .

أما المواد التي تدرس في هذه الدروس سواء منها الموقوفة أو التطوعية ، فأغلبها دروس في العلوم الدينية ، كقراءة القرآن الكريم والحديث والتفسير والفقه . أما المواد التي يغلب تدريسها في الدروس الموقوفة فهي الحديث والفقه ، وخصوصا الفقه الحنفي . وهناك أيضا دروس في

النحو والمعاني والبيان ، ولكن بشكل محدود والذي يقوم بها في العادة يكون متطوعًا[١١٧] .

التـــدريس في المـــدارس

أما المكان الثاني الذي تلقى فيه الدروس بمكة ، فكانت المدارس . وكان بمكة في ذلك العهد عدد من المدارس منها ما كان قد بُني قبل ذلك العهد واستمرت في برامجها خلال العهد المملوكي ، ومنها ما بُني خلال العهد المملوكي ومن هذه المدارس :

- **مدرسة الزنجيلي** : عند باب العمرة ، ومؤسسها هو الأمير فخرالدين عثمان بن علي الزنجيلي ، نائب السلطان صلاح الدين الأيوبي بعدن (المتوفى سنة ٥٨٣هـ) . وقد بناها سنة ٥٧٩هـ ، ووقفها على الحنفية ، وتعرف في ذلك الوقت بدار السلسلة ، وقد استولى عليها بعض أولاد الأشراف أمراء مكة[١١٨] .

- **مدرسة طاب الزمان الحبشية** : عتيقة الخليفة العباسي المستضيء ، بالجهة الغربية من المسجد الحرام بالقرب من باب العمرة . وقد بنتها سنة ٥٨٠هـ ، بالموضع المعروف بدار زبيدة ، ووقفتها على عشرة من الفقهاء الشافعية[١١٩] .

- **مدرسة الأرسوفي** : بالقرب من باب العمرة ، ومؤسسها هو العفيف عبدالله بن محمد الأرسوفي ، ويرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ٥٩١هـ تقريبا[١٢٠] .

- **مدرسة النهاوندي** : بالقرب من الموضع الذي يقال له الدريبة في الجهة الشمالية من المسجد الحرام ، ويرجع تأسيسها إلى بداية القرن السابع الهجري[١٢١] .

- **المدرسة الشرابية** : نسبة لمؤسسها إقبال بن عبد الله الشرابي ، أحد مماليك الخليفة المستنصر العباسي (المتوفى سنة ٦٥٣هـ) ، عند باب السلام ، ويرجع تأسيسها إلى سنة ٦٣١هـ[١٢٢] .

- **مدرسة أبي على بن أبي زكريا** : قرب المدرسة المجاهدية ، بالجهة الجنوبية من المسجد الحرام ، وتأسست سنة ٦٣٥هـ[١٢٣] . وكانت تعرف بأبي طاهر المؤذن ، ثم صارت تعرف ببيت ورثة الشيخ إسماعيل الزمزمي[١٢٤] .

- **مدرسة ابن الحداد المهدوي** : وهو عبد الحق بن عبدالرحمن بن عبدالحق المهدوي ، المعروف بابن الحداد ، وتعرف زمن الفاسي بمدرسة الأشراف الأدارسة لاستيلائهم عليها ، وتاريخ وقفها سنة ٦٣٨هـ ، وهي بالقرب من مدرسة الأرسوفي ، ووقفها على الطلبة المالكية بمكة[١٢٥] .

• **مدرسة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول**: صاحب اليمن، وقد عمرها له مملوكه الأمير فخر الدين الشلاح - أمير مكة من قبله - سنة ٦٤١هـ، وتقع في الجانب الغربي من المسجد الحرام بين مدرسة الزنجيلي ومدرسة طاب الزمان الحبشية. وقد وقفت على الفقهاء الشافعية والمحدثين، وتسمى هذه المدرسة بالمنصورية نسبة لمؤسسها الملك المنصور، وأحيانًا بالمظفرية نسبة لابنه الملك المظفر(١٢٦).

• **مدرسة عند باب العجلة** بالجهة الشمالية من المسجد الحرام، ولا يعرف تاريخ إنشائها، ولا من أسسها ووقفها، إلا أن الفاسي ذكر أن الأمير أرغون بن عبدالله الناصري أحد موالي السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاون - قد عمل فيها درسا للحنفية سنة ٧٢٠هـ تقريبًا(١٢٧). ثم إنه في سنة ٨٣٥هـ، اشترى عبد الباسط بن خليل الدمشقي القاهري أحد كبار رجال الدولة المملوكية مبنى هذه المدرسة من الأشراف أولاد راجح بن أبي نمي بعد استيلائهم عليها، وجعل بها خلاوي لسكنى الفقراء، وتطل شبابيك المدرسة على المسجد الحرام، وعندها سبيل، ويقوم بالإشراف عليها أئمة المقام الحنفي بالمسجد الحرام ولها أوقاف بمصر. فصارت تسمى بالمدرسة الباسطية(١٢٨).

• **المدرسة المجاهدية**: نسبة إلى الملك المجاهد، علي بن داود من بني رسول - من ملوك اليمن - وتقع بجنوب المسجد الحرام، بناها ووقفها سنة ٧٣٩هـ على الفقهاء الشافعية، وأرباب الوظائف بها(١٢٩).

• **المدرسة الأفضلية**: نسبة للملك الأفضل بن الملك المجاهد الرسولي - ملك اليمن - بالمسعى أنشأها سنة ٧٦٨هـ، وابتدأ التدريس بها سنة ٧٧٠هـ، ووقفت على فقهاء الشافعية(١٣٠).

• **مدرسة الشريف عجلان بن رميثة**: (المتوفى سنة ٧٧٧هـ) بالجهة الجنوبية من المسجد الحرام مقابلة للمدرسة المجاهدية(١٣١).

• **مدرسة الشريف أبي منيف**: جار الله بن حمزة بن راجح بن أبي نمي، بدار العجلة، أنشأها سنة ٧٨٩هـ، وفتح في جدار في المسجد الحرام بابا وستة شبابيك(١٣٢). واستمرت بيده إلى سنة ٧٩٤هـ ثم سلمها للدولة المملوكية(١٣٣). ولكن في سنة ٨٣٥هـ أقيمت محلها مدرسة الزمامي الصوفية، التي أنشأها خشقدم الزمام، وجعل فيها شيخا وغيره من الصوفية، يجتمعون ويقرأون بعد صلاة العصر، ويهدون ثواب ذلك له، وجعل بها صهريجا للماء وخلاوي للفقراء وأوقف عليها أوقافا(١٣٤).

• **مدرسة الشريف حسن بن عجلان** : وتقع بالقرب من رباطه الذي أنشأه سنة ٨٠٣هـ بالقرب من المدرسة المجاهدية في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام[١٣٥].

• **المدرسة الحنفية المظفرية** : ذكر ابن فهد أنه حفظت فيها كتب المسجد الحرام التي ابتلت في سيل سنة ٧٣٨هـ[١٣٦].

• **المدرسة الغياثية أو البنجالية** : وتنسب إلى السلطان الملك المنصور غياث الدين أبي المظفر أعظم شاه سلطان بنجاله من بلاد الهند. إذ أوفد خادمه ياقوت الحبشي سنة ٨١٣هـ لمكة لبناء مدرسة بها وشراء أوقاف لها. فابتدأ في العمارة في رمضان سنة ٨١٣هـ بعد أن اشترى دارين متلاصقتين مجاورتين للمسجد الحرام من الجهة الجنوبية، وانتهى من العمارة في آخر صفر سنة ٨١٤هـ، وقرر فيها دروسا في الفقه على المذاهب الأربعة، وجعل مدرسيها قضاة مكة الأربعة، القاضي الشافعي جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيره، والقاضي الحنفي شهاب الدين أحمد بن الضياء، والقاضي المالكي تقي الدين الفاسي - مؤلف كتابي شفاء الغرام والعقد الثمين - والقاضي الحنبلي سراج الدين عبد اللطيف الفاسي.

أما الطلاب فهم ستون : عشرون من الشافعية، وعشرون من الحنفية، وعشرة من المالكية، وعشرة من الحنابلة، وجعل لها أوقافا بمكة وما حولها[١٣٧].

• **المدرسة العطيفية** : أمرت بإنشائها سنة ٨٦١هـ زوجة السلطان المملوكي الأشرف إينال، زينب بنت العلاء علي بن أحمد بن خاص بك بالجهة الشمالية من المسجد الحرام، حيث عمرت فيها قاعة كبيرة، ومرافق كثيرة ورواق كبير ومستودع. ولها شبابيك تطل على المسجد الحرام[١٣٨]. وقد كانت رباطا لأم الخليفة الناصر العباسي، ويكثر سكن شريف مكة عطيفة بن أبي نمي (المتوفى سنة ٧٤٣) فيه، ولذلك نسبت إليه[١٣٩].

• **مدرسة عمرها السلطان جلال الدين أبو المظفر محمد شاه بن فندو بن راجه كانس** : أحد سلاطين البنغال (٨١٧ - ٨٣٥هـ) ووصفها ابن العماد الحنبلي بأنها مدرسة هائلة[١٤٠].

• **مدرسة السلطان محمد شاه الأول الخلجي** : أحد سلاطين مالوه بوسط الهند (٨٣٩ - ٨٨٠هـ) بناها عند باب أم هاني أحد أبواب المسجد الحرام في الجهة الجنوبية، ويبدو أنها لتدريس الفقه الحنفي[١٤١].

• **مدرسة أنشأها السلطان غياث الدين محمد شاه بن السلطان ناصر الدين أحمد شاه بن السلطان غياث الدين محمد شاه بن السلطان شمس الدين مظفر شاه** : أحد سلاطين الكجرات في غربي الهند - سنة ٨٦٦هـ بين البيمارستان وباب الدريبة، ملاصقة للمسجد الحرام في

الجهة الشمالية ، كمل بناؤها سنة ٨٦٧هـ[١٤٢] .

• **المدرسة الجمالية** : تقع عند باب الحزورة - أحد أبواب المسجد الحرام في الجهة الغربية - بنيت سنة ٨٥٧هـ[١٤٣] . ولها أوقاف بمكة .

• **المدرسة الكلبرقية** : أنشأها السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه سلطان كلبرقية - شمال الدكن بالهند - سنة ٨٣١هـ بعد شراء دار من الشريف بركات على باب الصفا ، بتسعة آلاف مثقال . وتقع في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام ، وكمل بناؤها سنة ٨٣٢هـ[١٤٤] .

• **مدرسة ناظر الخاص** : بناها بردبك التاجي لناظر الخاص ، مكان رباط رامشت - عند باب الحزورة في الجهة الغربية من المسجد الحرام - بعد أن خرب . فجعلها مدرسة ورباطا ، وذلك سنة ٨٥٥هـ[١٤٥] .

• **مدرسة الشاطبية** : عمَّرها أيضا بردبك التاجي في نفس السنة التي عمر فيها مدرسة ناظر الخاص[١٤٦] .

• **مدرسة السلطان قايتباي** : ذلك أنه في أوائل سنة ٨٨٢هـ ، أمر السلطان قايتباي وكيله شمس الدين محمد بن عمر المشهور بابن الزمن ، وشاد العمائر الأمير سنقر الجمالي ، أن يبنوا له مدرسة يدرس فيها فقهاء على المذاهب الأربعة ، ورباطا يسكنه الفقراء ، وسبيلا وميضأة ومكتبا للأيتام ، ويعمر له ربوعا ومسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه عليهما .

فاختير موضع رباط السدرة ورباط المراغي وكانا متصلين ، وكان إلى جانب رباط المراغي دار للشريفة شمسية بنت حسن بن عجلان ، وكانت هذه الأماكن بجانب باب الجنائز في المسعى بالجهة الشرقية من المسجد الحرام ، فهدمت جميعها وجعل مكانها اثنتان وسبعون خلوة ، ومجمع كبير مشرف على المسجد الحرام وعلى المسعى ومكتب ومئذنة ، وجعل المجمع مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف المذهب . وانتهى من بناء ذلك كله سنة ٨٨٤هـ . حيث حج السلطان في هذه السنة وقبل عودته من مكة بعد انتهاء الحج ، عين في مدرسته القضاة الأربعة بمكة لتدريس فقه مذاهبهم ، وأربعين طالبا ، وستة قراء وخادما للربعة ، وخادما للمصحف الشيخ (أي المصحف الكبير) وهو القاضي الشافعي ، وداعيا وكاتب غيبة وقارئًا لصحيح البخاري ، وفراشين وبوابين ووقادين وسقائين ، وثلاثة مؤذنين ومسبلا بسبيله ، وعشرة أيتام ومؤنتهم وعريفا وفقيها ، وناظرا على الرباط ، وشيخا للرباط ، وناظرا على المدرسة ، وناظرا على الوقف وجابيا ، وصيرفا وأصحاب الخلاوي وغيرهم . وجعل لكل واحد كفايته من القمح والدراهم والزيت . وكتب وقفية بذلك .

كما أنه أرسل خزانة كتب وقفها على طلبة العلم ، وجعل مقرها المدرسة المذكورة ، وجعل لها خازنا عين له مبلغا من المال . كما طلب من القضاة الأربعة والفقهاء الاجتماع بعد العصر يقرأون له الثلاثين جزءا من القرآن . وجعل فقيها يعلم أربعين صبيا من الأيتام ، ورتب لكل واحد من الأيتام أهل الخلاوي ما يكفيهم من القمح في كل سنة ، وللمدرسين والمؤذنين وقراء الأجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة . وبني عدة ربوع ودور تغل في كل عام ألفي ذهب ، ووقف عليهم قرى وضياعا كثيرة بمصر ، وحبوبا تحمل إلى مكة[١٤٧] .

• **المدرسة التركلية** : وتسمى بدار السلام عند باب العمرة[١٤٨] .

• **مدرسة بناها الشريف محمد بن بركات** : عند باب أم هاني - أحد أبواب المسجد الحرام بالجهة الجنوبية[١٤٩] .

• **مدرسة السلطان قانصوه الغوري**[١٥٠] .

ومما يلاحظ في بناء هذه المدارس :

١ - إنها ملاصقة للمسجد الحرام ، وتشرف عليه ، وتحيط به إحاطة تكاد تشبه إحاطة السوار بالمعصم . حيث بنيت في جهاته الأربع .

٢- يغلب تدريس فقه المذهب الشافعي على منهج هذه المدارس حيث خصته في وقفيتها أربع مدارس ، هي مدرسة طاب الزمان والمنصورية والأفضلية والمجاهدية ، ويدخل ضمن مناهج مدرستين هي البنجالية ومدرسة قايتباي . وربما يعود ذلك لأن المذهب الشافعي كان هو المذهب السائد في الحجاز في ذلك الوقت ، وتتبعه الدولة المملوكية أيضا . ويليه في الاهتمام الفقه الحنفي .

٣- معظم مؤسسي هذه المدارس هم من غير أهل مكة ، بل من خارجها ، فمساهمة أشراف مكة وأغنيائها في تأسيس المدارس بمكة ضئيلة ، كذلك الحال بالنسبة للسلاطين المماليك الذين كان الحجاز يتبع لهم أكثر من قرنين ونصف ، بينما نجد أن معظم المدارس في مكة أسسها ملوك وسلاطين من اليمن والهندوأغنياء من مختلف البلاد الإسلامية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد الشريف حسن بن عجلان استغل رغبة سلطان بنجاله ببناء مدرسة بمكة ، بأن اشتط عليه بثمن الدور التي بَنَى عليها مدرسته ، كما اشتط عليه كذلك بثمن الأوقاف التي جعلها للمدرسة ، مع أنه أخذ هدية ثمينة من سلطان بنجاله ، بالإضافة إلى أخذه الأموال التي خصها السلطان المذكور لعمارة عين عرفة ، وبعض الأموال التي كانت مخصصة لأعمال خيرية في المدينة المنورة[١٥١] .

٤- يحرص مؤسسو هذه المدارس على جعل أوقاف تدر على هذه المدارس ، حتى تستمر في أداء رسالتها ، فنجدهم يجعلون لها أوقافا بمكة ، وإذا لم تكن هذه كافية لتغطية النفقات فإنهم يجعلون لها أوقافا في بلادهم . كما يحرص بعض هؤلاء على وقف كتب على مدارسهم أيضا . ولكن مع مرور الزمن تضيع هذه الأوقاف وتهمل ، وقد يُستولى عليها ، بل قد يُستولى على المدارس نفسها ، فتتعطل وتتوقف عن أداء رسالتها .

٥- تحدد وقفية بعض هذه المدارس عدد الطلاب ، الذين يمكنهم الالتحاق بالمدرسة ، وذلك أن قبول الطالب فيها يعني صرف مبلغ من المال له لسد بعض حاجته المعيشية .

٦- بالإضافة إلى كون المدرسة مكانا للدرس ، فإنها أيضا مقام سكنى وإقامة لبعض المدرسين والطلاب ، حيث جهزها من أوقفها بحيث تؤدي الغرضين - الدراسة والسكنى - حتى يتفرغ الأساتذة والعاملون بها والطلاب ، لإنجاز الهدف الذي بنيت من أجله المدرسة . إلا أنه يسكنها أحيانا غير هؤلاء مثل الغرباء[١٥٢] ، أو أمراء الحج[١٥٣] ، أو بعض أمراء المماليك[١٥٤] ، أو بعض أفراد عائلة السلطان كزوجته[١٥٥] ، بل إننا نجد أن الملك المجاهد صاحب اليمن سكن مدرسته عندما حج سنة ٧٤٢[١٥٦] ، كذلك السلطان قايتباي سكن مدرسته عندما حج سنة ٨٨٤هـ[١٥٧] .

آداب السكن في المدارس

ونتيجة لاستعمال المدارس للسكن ، بالإضافة إلى كونها دار علم ، فإننا نجد أن بعض الفقهاء وضع بعض الضوابط والآداب التي يحبذ أن يلتزم بها ساكن المدرسة ، ومن ذلك ما ذكره ابن جماعة في كتابه « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم »[١٥٨] :

١- أن يختار المدرسة التي يغلب على ظنه أنها ووقفها من جهة حلال .

٢- أن يكون القائمون عليها من مدرسين وغيرهم من المشهود لهم بالصلاح والتقوى .

٣- أن يتعرف على شروط وقفها ، ليقوم بحقوقها ، فلا يحق له السكن بها إذا لم تنطبق عليه هذ الشروط .

٤- أن يلتزم بحسن العشرة لزملائه في السكن ، ويؤثرهم على نفسه ، ويصبر على آذاهم ، ويحضر دروسها لأنها من أجل ذلك أسست ، ويشارك غيره من الساكنين بعد الدرس القراءة والدعاء لواقفها . وعليه أن يحضر مجالس الذكر فيها . وإذا لم يرغب في الحضور إلى هذه المجالس عليه أثناء الدرس أن لا يكثر التردد ولا التجول أو يرفع صوته بقراءة أو يحدث أصواتاً بباب أو نحوه حتى لا يزعج الدارسين .

٥- عليه أن يرحل عنها إذا انتهى من التحصيل فيها ليفسح المجال لغيره من المحتاجين .

٦- أن تكون المساكن العالية في المدرسة للقادرين على الصعود إليها ، أما الضعفاء والمشكوك في خلقه ، ومن يقصد للفتيا ، فالمساكن السفلية أولى بهم .

٧- أن لا يجلس عند باب المدرسة إلا لحاجة ، ولا يتجسس على غيره من السكان ، ولا يزعجهم بصوت أو ضحك أو مزاح ، وأن يحرص على أن لا يراه أحد منهم في هيئة مستهجنة كمتجرد عن ثيابه مثلا . وأن لا يُدخل المدرسة من يكرهه أهلها .

٨- أن يحرص على أن يسبق المدرس في الحضور إلى مكان الدرس ، على أحسن هيئة ، وأكمل طهارة ، ويحسن الإنصات للمدرس ولا يقاطعه .

٩- عليه المحافظة على مبنى المدرسة وأثاثها ، ويحرص على نظافتها .

محتويات المدرسة

وحتى تقوم المدرسة بأداء واجبها المطلوب ، نجد أن بعض المدارس بمكة كانت تحتوي بالإضافة إلى غرف سكن الطلاب وغيرهم من القائمين بها على :

١- الإيوان : وهو المكان المخصص لإلقاء الدروس بالمدرسة . ويكون عادة أوسع مكان في المدرسة حتى يتسع للطلاب . وهو عبارة عن مصطبة مرتفعة حوالي متر عن صحن المدرسة ، ولها سلم للصعود إليها ، وبعض المدارس كان لها إيوانان ، كما هو الحال في المدرسة البنجالية . أحدهما في الجهة الشرقية لتدريس الفقه الشافعي والحنفي ، والثاني ، في الجهة الغربية لتدريس الفقه المالكي والحنبلي[١٥٩] .

٢- مكتب لتعليم الايتام : كما هو الحال في مدرسة السلطان قايتباي .

٣- مكتبة : تحفظ فيها الكتب التي وقفها صاحب المدرسة عليها أو غيره ، كما هو الحال في مدرسة السلطان قايتباي أيضا .

٤- مستودع : لحفظ أدوات المدرسة ، من أدوات نظافة ، ومصابيح وفرش وزيت وغير ذلك . كما هو الحال في المدرسة البنجالية[١٦٠] ومدرسة قايتباي .

٥- سبيل ماء : يتصدق به صاحب المدرسة لسقي الساكنين بالمدرسة وغيرهم من المارة . ويكون عادة ملاصقا للمدرسة من الخارج ، كما هو الحال في المدرسة الباسطية ، ومدرسة السلطان قايتباي .

٦- مسجـــد : لأداء الصلوات المفروضة والنوافل لسكان المدرسة(١٦١) .

٧- مئذنـــة : يكون لها مؤذن أو أكثر للإعلام بدخول وقت الصلوات المفروضة ، كما هو الحال في مدرسة السلطان قايتباي .

٨- مطبـــخ : لإعداد الطعام لسكان المدرسة ، كما هو الحال في مدرسة قايتباي .

٩- حمامات وبجانبها مكان للوضوء : وتكون عادة عامة لاستعمال السكان بالمدرسة وغيرهم من المارة .

وهكذا نجد أن المدارس كانت بالإضافة إلى ما تقدمه من خدمة علمية حرص مؤسسوها على أن يوفروا للمدرسين والطلاب ، كل وسائل الراحة التي تتيح لهم التفرغ لطلب العلم . وهم في هذا يجعلون المدرسة تقدم خدمة إضافية ، قد لا تتوفر في المسجد للطلاب ومدرسيهم . كما أنهم من ناحية أخرى يتيحون لرواد المسجد الهدوء والسكينة التي تساعدهم على الخشوع في عبادتهم ، الأمر الذي قد لا يتحقق لو كان هذا أثناء إلقاء درس في المسجد لما يحدثه من الضجيج بسبب المناقشة والجدل .

المـــدرس في المـــدارس

يتولى التدريس في المدارس - عادة - كما هو الحال في الدروس في المسجد الحرام ، كبار علماء مكة . وعادة يكونون القضاة الأربعة ، كل واحد منهم يدرس فقه مذهبه(١٦٢) ، إذا كان منهج المدرسة تدريس فقه المذاهب الأربعة . وتدريس فقه مذهبه إذا كان منهج المدرسة محصورا عليه(١٦٣) . وقد يتولى التدريس بهذه المدارس أيضا خطيب المسجد الحرام(١٦٤) ، أو ناظر الحرم(١٦٥) ، أو إمام أحد المقامات(١٦٦) ، أو المحتسب(١٦٧) .

كما أن بعضهم تجمع له بالإضافة إلى التدريس بالمدرسة ، عدة وظائف دينية مثل : القضاء ، ونظر الحرم ، والحسبة ، والخطابة ، بالإضافة إلى التدريس بعدة مدارس ، والتدريس بعدة دروس بالمسجد الحرام(١٦٨) . وأحيانا نجد المدرس يتولى بالإضافة إلى التدريس بالمدارس وظيفة نظر هذه المدارس(١٦٩) .

تعيـــين المـــدرس

أما تعيين المدرس بهذه المدارس وعزله ، فيتم بأحد الطرق التالية :

١- عن طريق صاحب المدرسة أو وكيله(١٧٠) .

٢- عن طريق الناظر على المدرسة(١٧١) .

٣- عن طريق السلطان ، وخاصة المدارس التي لم يعين لها ناظر من قبل واقفها(١٧٢).

وللمدرس أن يجعل له نائبا - وعادة - يكون ابنه(١٧٣)، أو أخاه(١٧٤)، أما إذا كان المدرس متوليا عدة وظائف غير التدريس ، فإن نائبه - عادة - ينوب عنه في كل وظائفه(١٧٥). كما أن العادة جرت بأن يتولى الابن وظيفة التدريس بعد وفاة والده(١٧٦). كما يحق للمدرس أن يتنازل عن وظيفة التدريس بإحدى هذه المدارس لابنه(١٧٧)، أو لغير ابنه(١٧٨)، أو قد يتنازل الأب عن نصف راتب الوظيفة لابنه(١٧٩)، أو قد يشرك الأب اثنين من أبنائه في النصف بحيث يكون لكل واحد منهما الربع(١٨٠).

وفي العادة إذا كان المدرس متوليا عددا من الوظائف الدينية ، كالقضاء والخطابة وغيرها ، وجعل ابنه نائبا له في هذه الوظائف ومن ضمنها التدريس ، فإن الابن يتولى هذه الوظائف بعد وفاته ، بقرار سلطاني(١٨١). أما إذا اختار السلطان شخصا آخر فإن جميع وظائف المدرس السابقة تكون من نصيب المعين الجديد(١٨٢).

ويبدو أن أجر المدرس في هذه المدارس كان لا يكفي حاجته ، أو قد لا يقنعه ، لذلك نجد المدرس يحرص على أن يجمع بين عدد من الوظائف مع وظيفة التدريس ، حتى يحصل له أخذ جميع رواتبها . إلا أننا نجد بعض أصحاب المدارس يحرص على جعل أحد كبار علماء مكة يدرس في مدرسته ، فيغريه من أجل ذلك بإعطائه راتبا كبيرا ، كما حدث عندما خصص المظفر صاحب اليمن لمحب الدين الطبري مبلغ خمسين ديناراً شهريا مقابل التدريس بمدرسة والده (المنصورية)(١٨٣).

واجبـــات المـــدرس

أما واجبات المدرس ، فقد جمعها ابن جماعة في ثلاثة أمور(١٨٤):

أولا : واجبات المدرس مع نفسه ، وهي :

١- دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن ، والمحافظة على ما تعلمه ، وما منح من حواس وفهم .

٢- أن يصون العلم من المذلة والإهانة ، لأن الله تعالى جعل له العزة والشرف .

٣- أن يكون زاهدا في الدنيا بما لا يضر بنفسه وعياله .

٤- ألا يجعل من علمه سلما يتوصل به إلى أغراض الدنيا .

٥- أن يتنزه عن دنيء المكاسب ، ورذيلها طبعا ، ومكروهها عادة وشرعا ، كالحجامة

والدباغة ، وألا يعرِّض نفسه للتهمة بفعل أو قول ، فيظن به السوء ، فينفر الناس من الانتفاع بعلمه وتسقط مكانته من قلوبهم .

٦- أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام ، كإقامة الصلاة جماعة ، وإفشاء السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٧- أن يحافظ على المندوبات الشرعية ، القولية والفعلية ، كتلاوة القرآن والذكر والنوافل .

٨- معاملة الناس بمكارم الأخلاق .

٩- أن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق السيئة كالحسد والبغض والغش والبخل والطمع والغيبة والنميمة .

١٠- دوام الحرص على الزيادة من طلب العلم بالجد والاجتهاد بالقراءة والتأليف والبحث .

١١- ألا يستنكف في الاستفادة من أخذ العلم ممن هو دونه منصبًا أو نسبًا أو سنًا .

١٢- أن يحرص على الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف مع الحرص على التدقيق فيها ومراجعتها .

ثانياً : واجبات المدرس نحو درسه

١- أن يأتي إلى الدرس متطهرا نظيفا في أحسن هيئة ثم يصلي ركعتين قبل خروجه من بيته ، ويدعو الله أن يعينه على آداء واجبه في إخلاص وأمانة .

٢- وعند خروجه من بيته يدعو بالدعاء المأثور عن النبي - صلى الله عليه وسلم - « اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل ، أو أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل عليّ - عز جارك وجل ثناؤك لا إله غيرك » . ثم يقول « باسم الله وباللّه ، حسبي الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم ، اللهم اثبت جناني وأدر الحق على لساني » ويديم ذكر الله إلى أن يصل إلى مجلس الدرس ، فإذا وصل سلم على الحاضرين ، وصلى ركعتين ، إن لم يكن وقت كراهة ، فإن كان مكان الدرس مسجدا تأكدت الصلاة مطلقا ، ثم يدعو الله تعالى بالتوفيق والإعانة والعصمة .

ويجلس مستقبلا القبلة إن أمكن بوقار وسكينة وتواضع وخشوع متربعا أو غير ذلك مما لم يكره من الجلسات ، ولا يجلس مقعيًا ولا مستوفزًا ولا رابعًا إحدى رجليه على الأخرى ، ولا مادآً رجليه أو إحداهما من غير عذر ، ولا متكئًا على يده إلى جنبه وراء ظهره .

وليصن بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه ، ويديه عن العبث والتشبيك بها ، وعينيه عن تفريق النظر من غير حاجة ، ويتقي المزاح وكثرة الضحك ، فإنه يقلل الهيبة ويسقط الحشمة .

ولا يدرس في وقت جوعه أو عطشه أو همِّه أو غضبه أو نعاسه أو قلقه ، ولا في حالة برده المؤلم وحره المزعج . فربما أجاب أو أفتى بغير الصواب ، ولأنه لا يتمكن مع ذلك من استيفاء النظر .

٣- أن يجلس في مكان بارز لجميع الحاضرين ، ويوقر أفاضلهم بالعلم والسن والصلاح والشرف ، ويتلطف بالباقين ، ويلتفت إلى الحاضرين ، بحسب الحاجة ، وأن يقبل بوجهه على من يكلمه أو يسأله ، وإن كان صغيراً أو وضيعًا .

٤- أن يبدأ قبل الشروع في الدرس بقراءة شيء من القرآن الكريم تبركًا وتيمنًا ، ويدعو بعد القراءة لنفسه وللحاضرين ، ولسائر المسلمين ، ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويسمي الله ويحمده ويصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه ، ويترضى عن أئمة المسلمين ومشايخه . ويدعو لنفسه وللحاضرين ولوالديهم ، وعن واقف المكان إن كان ذلك مدرسة جزاءً لحسن فعله .

٥- إذا تعددت الدروس قُدم الأشرف فالأشرف ، فيقدم تفسير القرآن الكريم ، ثم الحديث ، ثم أصول الدين ، ثم أصول الفقه ، ثم المذهب ، ثم الخلاف ، أو النحو ، أو الجدل ، ويختم الدرس بموعظة تفيدهم وتطهر نفوسهم .

وعلى المدرس أن يتبع شروط الواقف في الدروس ، ولا يخل بها ، وعليه أن يصل في درسه ما ينبغي وصله ، ويقف في مواضع الوقف . ولا يذكر شبهة في الدين في درس ويؤخر الجواب عنها إلى درس آخر ، بل يذكرها جميعا ، ولا يتقيد في ذلك بمصنف يلزم منه تأخير جواب الشبهة عنها لما فيه من المفسدة لاسيما إذا كان الدرس يجمع الخواص والعوام . وعليه أن لا يطيل الدرس تطويلاً مملاً ولا يقصره تقصير مخلاً . ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين . ولا يبحث في مقام أو يتكلم على فائدة إلا في موضع ذلك فلا يقدم عليه ولا يؤخره إلا لمصلحة .

٦- أن يلقي الدرس بصوت مسموع للحاضرين بتمهل وترتيب ، وأن يسكت قليلا بين كل مسألة والتي تليها .

٧- أن يصون مجلسه من اللغط والمجادلة والمماراة ، لأنها تؤدي إلى العداوة والبغضاء ، وأن يؤدب من فعل ذلك . وينبغي أن يكون له نقيب فطن كَيِّسٌ درب ، يرتب الحاضرين على

قدر منازلهم ، ويساعده في انضباط الدرس .

٨- أن يلازم الإنصاف في بحثه وخطابه ، ويسمع للصغير والكبير ، ويساعد من به حياء على توضيح مراده ، ويجيب بتروٍّ . ولا يستحي من قول «لا أعلم» ، فإنه لا يضع من قدره ، بل يرفعه ، لأنه يدل على التقوى وحسن التثبت .

٩- أن يتودد للغريب ، ولا يكثر الالتفات والنظر إليه استغرابا فإن ذلك يخجله . وإذا أقبل بعض الفضلاء ، وقد شرع في مسألة أمسك عنها حتى يجلس ، وإذا جاء وهو يبحث في مسألة أعادها له باختصار ، وإذا أقبل فقيه ، وقد بقي لفراغه من الدرس وانصراف الحاضرين بقدر ما يصل الفقيه إلى المجلس فليؤخر تلك البقية ، ويشتغل عنها ببحث أو غيره إلى أن يجلس الفقيه ، ثم يعيدها أو يتم تلك البقية ، كي لا يخجل المقبل لقيامهم عند جلوسه . وأن يراعي مصلحة الجميع في موعد الدرس ، إذا لم يكن عليه فيه ضرر ولا كلفة .

١٠- أن يبدأ الدرس بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » ويختمه بقوله « والله أعلم » ليكون ذاكرًا للّه تعالى في بدايته وخاتمته . وعليه أن يمكث قليلا بعد انتهاء الدرس وقيام الحاضرين ، حتى لَا يزاحمهم ، وفيه فرصة لسائل أن يسأله ، وفيه أيضا دفع لصفة التكبر بعدم ركوبه بينهم ، إن كان يركب وغير ذلك ويستحب له أن يدعو بما ورد في حديث انتهاء المجلس « سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك » .

١١- أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلا له ، ولا يدرِّس في علم لا يعرفه . فإن في ذلك مهانة واستخفافا بالعلم ، ومذلة وازدراءً لفاعله بين الناس .

ثالثا : واجبات المدرس نحو طلابه ، منها :

١- أن يخلص النية لله في تعليمهم ، راجيا نشر العلم وإحياء الشرع ، والخير للأمة بكثرة علمائها .

٢- أن لا يمتنع عن تعليم الطالب لعدم خلوص نيته ، فإن حسن النية مرجو له ببركة العلم ، وعليه أن يحرض المبتدىء على حسن النية بالتدريج قولا وعملا . ويعلمه أن بركة حسن النية ترفع قدره في الدنيا والآخرة .

٣- أن يرغبه في طلب العلم في أكثر الأوقات ، بذكر منزلة العلماء عند الله ، وإنهم ورثة الأنبياء ، ويرغبه بالزهد بالدنيا ، فإن ذلك أشرف لنفسه ، وأجدر لحفظ العلم وازدياده .

٤- أن يحب لطالبه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، ويحسن إليه ، ويشفق عليه ،

ويصبر على ما صدر منه من سوء أدب ، وينصحه بلطف أولا ، ثم بالتصريح ولكن برفق وتدرج .

٥- أن يكون شرحه للدرس مبسطا ومرتبا حتى يسهل على الطلاب فهمه ، ولا يعلمه ما لم يتأهل له ، لأن ذلك يشتت فهمه ، وينفر قلبه ويضره ولا ينفعه .

٦- أن يبذل الجهد في تقريب المعنى له وتبسيطه وتوضيحه ، بذكر الأمثلة والأدلة . وأن يكون نقده لغيره من العلماء بدون تجريح ولا تنقيص . ولا يمتنع من ذكر لفظة يستحي من ذكرها عادة ، إذا احتيج إليها ، ولا يتم التوضيح إلا بها ، فإن كانت الكناية تغني عن ذكرها اكتفى بها .

٧- إذا فرغ من الشرح عليه أن يسأل طلابه ، ويختبر فهمهم للدرس ، والهدف من ذلك هو التأكد من فهمهم للدرس حيث إن بعض الطلبة يخجل من السؤال ، إما لضيق الوقت أو حياء من الحاضرين أو لرفع كلفة الإعادة على المدرس . وعليه أن يحثهم بالمذاكرة مع بعضهم ، لأن في ذلك ترسيخ الدرس في أذهانهم ، واستعمال الفكر وطلب الحقيقة .

٨- أن يطالب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة ما حفظوه ، ويختبر فهمهم للدروس السابقة ، فيثني على المجتهد بين زملائه ، لشحذ هممهم في الطلب ، ويوبخ المقصر ويحرضه على علو الهمة في طلب العلم .

٩- أن ينصح طلابه ، بأن لا يحمِّلوا أنفسهم وأذهانهم فوق طاقتها بطلب العلم ، فإن ذلك يؤدي إلى السأم والضجر ، ويشير على كل طالب بقراءة كتاب يناسب قدراته العقلية . كذلك لا يمكن الطالب من الاشتغال في علمين أو أكثر ، إذا لم يضبطهما ، بل يقدم الأهم فالأهم ، وإذا أدرك المدرس أن الطالب لا يفلح في علم أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فلاحه .

١٠- على المدرس أن يبين قواعد كل علم ، التي لن يتمكن منه إلا بها ، ويبين له ما يحتاج إليه من العلوم الأخرى التي تعينه على التمكن من ذلك العلم .

١١- أن تكون المفاضلة في تعامله مع الطالب بكثرة الاجتهاد والتحصيل والأدب ، لأن ذلك يبعث على التنافس والاقتداء . وأن لا يقدم أحدًا في نوبة الآخر إلا في مصلحة ، أو إذن من صاحب النوبة ، كما ينبغي عليه أن يتودد لحاضرهم ، ويذكر بالخير غائبهم ، وعليه أن يتعرف على أسمائهم وأنسابهم ومواطنهم ويكثر الدعاء لهم .

١٢- مراقبة سلوك طلابه وآدابهم ظاهرًا وباطنًا . وأن يكون تهذيبه للمسيء بالتدرج ،

بالتعريض له من غير إهانة ، ثم بالنهي سرا ، ثم بالنهي جهرا مع الغلظة في القول لزجره وتأديب غيره ، ثم بالطرد من الدرس وهجره إلى أن يرجع ، ويعتذر عن تصرفه . وعليه أن يحرص على أن يعامل طلابه بعضهم بعضا بأحسن الأخلاق ، مثل إفشاء السلام وحسن التخاطب والتعاون على البر والتقوى ، ويعلمهم ما يصلح دينهم ودنياهم .

١٣ - أن يحرص على تفقد أحوال طلابه والتأليف بين قلوبهم ومساعدتهم ماديًا ومعنويًا . ويتأكد ذلك في المساعدة على طلب العلم . وعليه أن يسأل عن الغائب منهم ويزوره في منزله إن كان مريضا أو عنده مشكلة لعيادته وللتخفيف عنه . وعليه أيضا تفقد أهل المسافر منهم ومساعدتهم .

١٤ - أن يتواضع لطلابه ولكل سائل ، ويلين لهم جانبه ، ويخاطبهم بأحب الأسماء إليهم ، ويرحب بهم إذا لقيهم ، وعند إقبالهم عليه ، ويكرمهم إذا جلسوا إليه ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم ، ويعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر وحسن المودة .

وبالتأمل في هذه الضوابط التي وضعها ابن جماعة ، نجد أنها تعطينا الصورة المثالية ، التي يجب أن يكون عليها المدرس ، في سلوكه وتعامله في درسه ومع طلابه . وهي الصورة التي ينشدها التربويون في كل العصور . وقد حاول ابن جماعة أن يستشفَّ هذه الضوابط من المعلم القدوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في سلوكه وتعامله مع أصحابه ، والذي وصفه الله - سبحانه وتعالى بأنه على خلق عظيم(١٨٥) . وقد وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الأخلاق والآداب بأنها من الله تعالى حيث قال « أدبَّني ربيّ فَأحسَنَ تأديبي »(١٨٦) ، كما وصفه أصحابه بأن خلقه القرآن(١٨٧) ، حيث تبرز هذه الأقوال بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تتفق أقواله مع أفعاله .

ولا شك أن الوصول إلى الرتبة التي وصل إليها الرسول - صلى الله عليه وسلم - صعب المنال ، ولكن هذا لا يمنع من الاقتداء به ، لأن التأسي بسلوكه من أهم الواجبات على جميع المسلمين . وعلى المعلم أن يجعل هذه الصورة دائما نصب عينيه إذا أراد أن يؤدي رسالته التربوية على الوجه المطلوب . وهذه الضوابط من ناحية أخرى تجعلنا نبحث عن الأسباب التي حدت بابن جماعة لكتابة هذه الرسالة التربوية ، التي صاغ فيها الشخصية المثالية التي يجب أن يكون عليها المدرس ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تعرفنا بما وصل إليه الفكر التربوي في العصر الذي عاش فيه ابن جماعة ، وهو القرن الثامن الهجري .

وإذا أردنا أن نتعرف على الأسباب التي دعته إلى تأليف تلك الرسالة التربوية نجد أن أولها يعود بلاشك إلى عدم التزام المدرس في عصره بالتقيد بواجبات وآداب وظيفة التدريس . مما

يؤدي إلى عدم تحقيق العملية التربوية أهدافها المنشودة ، كما أن التعيين في وظيفة المدرس كان لا يتم غالبا حسب الكفاءة العلمية والعملية ، وإنما حسب ظروف بعيدة كل البعد عن المعيار الصحيح . ويؤيد هذا ما ذكره معاصرٌ لابن جماعة ، وهو تاج الدين السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم» حيث شكا من سوء الأوضاع التعليمية في عصره ، وإهمال أكثر المدرسين القيام بواجبهم الوظيفي كما ينبغي بحيث يمكن لأحد العامة القيام بإلقاء درس مثلما يقوم به بعض المدرسين الذين يحفظون سطرين أو ثلاثة من كتاب ويرددونها . هذا ما جعل بعض العامة ، أيضا ، يتجرأ أو يطمع في تولي الوظائف التعليمية[١٨٨] .

وإذا رجعنا إلى الواقع ، نجد ما يؤيد ذلك ، حيث نجد أن أكثر المدرسين الذين كانوا يعينون في المسجد الحرام أو في المدارس بمكة ، لا يعينون حسب الكفاءة العلمية والقدرة العملية ، وإنما يتولونها بعد آبائهم أو بعد منيبيهم . فليس من اللازم أن يكون الخلف بمستوي الكفاءة العلمية والعملية للسلف . كما أن بعضهم يتولى التدريس في أكثر من درس أو مدرسة ، بالإضافة إلى تولي أغلبهم عددا من الوظائف الدينية ، وهذا يؤكد على أن الهدف من تولي هذه الوظائف ليس أداء الواجب الوظيفي المرسوم كما ينبغي ، وإنما هو الاستفادة من المردود المادي الذي يُجنى من وراء تولي هذه الوظائف .

معاونو المدرس في التدريس بالمدارس

وقد يستعين المدرس في المدرسة – كما هو الحال في التدريس بالمسجد الحرام – بعدد من أصحاب الوظائف التعليمية ومنهم :

المعيد : وقد سبق تعريفه ، فهو يقوم بشرح ما غمض على الطلاب فهمه من شرح المدرس ، ويُعيَّن من قبل صاحب المدرسة أو وكيله أو ناظر المدرسة[١٨٩] . وبالرغم من أن هذه الوظيفة تأتي في المرتبة الثانية بعد وظيفة المدرس في السلم التعليمي في ذلك الوقت ، إلا أنه يتولاها في العادة كبار العلماء[١٩٠] ، وقد يجمع المعيد بالإضافة إلى وظيفة الإعادة وظيفة أخرى مثل نيابة القضاء[١٩١] ، أو نيابة الإمامة[١٩٢] ، أو التدريس[١٩٣] ، أو قد يكون معيداً في عدة مدارس[١٩٤] . ولأهمية هذه الوظيفة اشتهرت إحدى الأسر بمكة بلقب « المعيد » لأن عددا من أفرادها تولى هذه الوظيفة[١٩٥] .

المفيد : يعتمد عليه بعض الطلاب في مساعدتهم وإرشادهم إلى ما يزيدهم فهما للدرس وتوضيحا بمعلومات أكثر مما قيلت في الدرس[١٩٦] .

قراء الربعة : حيث اعتاد الناس في ذلك الوقت على جعل كل جزء من أجزاء القرآن

الكريم الثلاثين في نسخة مستقلة . ومجموع نسخ هذه الأجزاء الثلاثين كلها تسمى ربعة . فهناك عدد من القراء يقرأ كل واحد منهم في العادة في نسخة (أي جزء من أجزاء القرآن الكريم) قبل الدرس[١٩٧].

قارىء العشر : وهو الذي يقرأ عشر آيات من القرآن الكريم قبل الدرس[١٩٨].

الداعي : وهو الذي يجهز مكان الدرس بما يحتاج ، ثم يدعو المدرس وطلابه ، يرتب جلوس الحاضرين للدرس حسب مكانتهم الاجتماعية ، ويساعد المدرس على انضباط الدرس[١٩٩].

القارىء : وهو الذي يقرأ من كتاب سواء قبل الدرس أو أثنائه[٢٠٠].

إدارة المدرسة

وحتى تؤدي المدرسة واجبها التعليمي الذي يهدف إليه مؤسسها ، نجد أن بعض أصحاب المدارس ، بالإضافة إلى تعيينهم لبعض أصحاب الوظائف التعليمية في مدارسهم ، يُعَيِّنون بعض الموظفين للقيام بإدارة المدرسة حتى تستمر المدرسة في أداء واجبها التعليمي من جهة ، وحتى تسهل للمدرسين ومعاونيهم القيام بأداء واجبهم التعليمي كما ينبغي . ومن هؤلاء :

الناظر : وهو الذي يتولى شؤون المدرسة ، ويشرف على كافة أمورها ، ويرجع إليه في كافة أمورها ، ومن مهامه :

١ – الإشراف على التدريس ، وذلك بالتنسيق بين مواعيد المدرسين وتهيئة كافة ما يحتاجونه من أدوات وكتب وغيرها . والإشراف على سير الدروس ومراقبة المدرسين في أعمالهم .

٢ – الإشراف على الطلاب وقبولهم ، وتهيئة ما يحتاجونه من أدوات وكتب ومتابعة سيرهم الدراسي من أول دخولهم إلى المدرسة إلى تخرجهم فيها .

٣ – الإشراف على ما في المدرسة من أقسام مختلفة ، مثل مساكن الطلبة ومخازن المؤن وغيرها .

٤ – الإشراف على الموظفين الذين يعملون معه في إدارة المدرسة ، ومتابعة حسن أدائهم للعمل .

٥ – الإشراف على الشؤون المالية بالمدرسة ، مثل صرف مكافآت المدرسين والموظفين والطلاب بالمدرسة . والصرف على ما تحتاجه المدرسة من إصلاحات أو أدوات ومؤن وغيرها .

٦ – الإشراف على أوقاف المدرسة وتنميتها والصرف عليها .

٧- الإشراف على حسن سلوك وانضباط جميع من في المدرسة من مدرسين وموظفين وطلاب وسكان والتزامهم بذلك .

٨- يحدد الناظر - أحيانا - المادة الدراسية التي تدرس بالمدرسة إذا لم يحددها الواقف[٢٠١].

٩- وللناظر أيضا أن يؤجر المدرسة[٢٠٢].

ولأهمية هذه الوظيفة ، نجد أن الذي يتولاها - عادة - يكون من كبار علماء مكة[٢٠٣]. ويتولاها - عادة - بأمر سلطاني[٢٠٤]. كما أننا نجد أن الناظر تجمع له في الغالب مع وظيفة النظر عدة وظائف ومن أهمها :

- التدريس بالمدرسة التي يتولى النظر عليها . وقد يتولى في الوقت نفسه التدريس بغيرها من المدارس مع تولي نظرها بالإضافة إلى تدريس بعض الدروس بالمسجد الحرام[٢٠٥].
- القضاء[٢٠٦].
- الخطابة بالمسجد الحرام[٢٠٧].
- نظر المسجد الحرام[٢٠٨].
- الحسبة[٢٠٩].

نائب الناظر : وهو الذي ينوب عن الناظر في حالة غيابه خارج مكة . ويعينه - عادة - الناظر نفسه ويكون في الغالب من المدرسين في المدرسة نفسها[٢١٠].

كاتب الغيبة : وهو الذي يتفقد حضور المدرسين والطلاب وغيرهم من الموظفين في المدرسة ، كل يوم ، ويتعرف على أسباب غيابهم ، ويكتب ذلك في سجل خاص يرفعه إلى الناظر.[٢١١]

خادم الربعة : وهو المسؤول عن العناية بالربعة وتقديمها عند الطلب للقراء[٢١٢].

خادم المصحف الشيخ : وهو المسؤول عن العناية بالنسخة الكاملة وغير المجزأة للقرآن الكريم وتقديمها عند الطلب لقارئها . وعادة يكون من كبار العلماء[٢١٣].

خازن الكتب : وهو المسؤول عن العناية بالكتب الموقوفة بالمدرسة ، ويسمح لطلبة العلم بالاطلاع عليها ، ويحفظها من التلف والضياع[٢١٤].

خازن المستودع : وهو المسؤول عن حفظ أدوات المدرسة ومؤنها وغلاتها وفرشها ،

ويصرف منها بقدر الحاجة .

الوقّـــاد : وهو المسؤول عن إضاءة مصابيح المدرسة ونظافتها وإطفائها عند عدم الحاجة لها[٢١٥] .

الخـــبّاز : وهو المسؤول عن إعداد الخبز لإطعام سكان المدرسة[٢١٦] .

السقّاء : وهو المسؤول عن جلب الماء وصبه في المكان المعدّ له في المدرسة[٢١٧] .

الفرّاش : وهو المسؤول عن نظافة المدرسة ، ويمكن إرساله في بعض الأمور التي تخص المدرسة[٢١٨] .

البـــوّاب : وهو المسؤول عن مراقبة الداخلين والخارجين للمدرسة ، وعليه فتح الباب وقفله في المواعيد التي يحددها المسؤول عن المدرسة[٢١٩] .

ناظـــر الوقـف : وهو المسؤول عن تنمية الوقف الذي يصرف منه على المدرسة والعناية بـه[٢٢٠] .

الجـــابي : وهو المسؤول عن جباية أموال الوقف وتسليمها لناظر المدرسة[٢٢١] .

الصـيـرفي : وهو المسؤول عن صرف مكافآت المدرسين والعاملين بالمدرسة والطلاب والسكان[٢٢٢] .

الإمـــام : وهو الذي يؤم المصلين بمسجد المدرسة .

المـــؤذن : وهو الذي يؤذن بمنارة المدرسة في أوقات الصلوات المفروضة[٢٢٣] .

المسـبل : وهو المسؤول عن توزيع الماء على المحتاجين في مكان خاص بالمدرسة[٢٢٤] .

بعض الفروق بين نظام التدريس بالمسجد الحرام والمدارس

على الرغم من أن صاحب المدرسة ، يبذل الكثير من المال على مدرسته ، إلا أننا نجد أنها لا تؤدي الخدمة العلمية التي يقدمها المسجد الحرام ، وذلك بسبب شروط واقفها . بحيث نجد أن معظم المدارس يكاد ينحصر منهجها على تدريس الفقه على المذاهب الأربعة ، بل إن بعضهم يضيق الأمر بحيث يجعله قاصرا على دراسة فقه مذهب واحد من هذه المذاهب . ويستثنى من ذلك ما قرره السلطان قايتباي في مدرسته من دروس لتلاوة القرآن الكريم والحديث ، مما يجعل المدرس في هذه المدارس مقيدا بتدريس علم واحد من العلوم . كذلك الحال بالنسبة للطلاب فهم مقيدون بدراسة علم واحد من العلوم على يد مدرس يختاره صاحب المدرسة .

بينما نجد في المسجد الحرام عددا من المدرسين الذين يلقون دروسهم في مختلف العلوم سواء الدينية منها أو اللغوية ، بدون شرط ولا قيد ، وتطوعا واحتسابا للأجر من الله تعالى . كذلك يستطيع الطلاب أخذ عدد من العلوم ، بل لهم الحرية في الانتقال من مدرس إلى آخر في العلم الواحد .

وهناك فرق آخر بين نظام التدريس في المسجد الحرام والمدارس بمكة ، وهو البرنامج الدراسي اليومي ، ففي المدارس يقيد الواقف المدرس بوقت معين لإلقاء درسه ، كذلك الحال نجد في ذلك قيدا على الطالب ، بحضور الدرس في ذلك الوقت . بينما نجد أن نظام الدراسة في المسجد الحرام يعطي المدرس والطلاب حرية اختيار الوقت وتغييره حسب الظروف . ولعل السبب في ذلك القيد ، هو أن برنامج الدراسة اليومي - أحيانا- لا يستطيع أن يلبي حاجات المنهج الدراسي ، الذي أسس الواقف مدرسته لأجله ، حيث يجعله لتدريس فقه المذاهب الأربعة مثلا ، لذلك توزع أوقات اليوم وأيام الأسبوع بحيث تؤدي هذا الغرض . فمثلاً جعل البرنامج الأسبوعي في المدرسة البنجالية بحيث يوافق رغبة صاحب هذه المدرسة - وهو تدريس الفقه على المذاهب الأربعة . وكان كالتالي[٢٢٥]:

اليـــوم	فتـــرة الضحى	فترة ما بين الظهر والعصر
السبت	فقه المذهب الشافعي	فقه المذهب المالكي
الأحد	فقه المذهب الحنفي	فقه المذهب المالكي
الاثنين	فقه المذهب الشافعي	فقه المذهب المالكي
الثلاثاء	--	--
الأربعاء	فقه المذهب الحنفي	فقه المذهب الحنبلي
الخميس	فقه المذهب الحنفي	فقه المذهب الحنبلي

التـــدريس في الأربطـــة

وهو المكان الثالث من أماكن التعليم بمكة ، ولكنه يقوم بدور ضئيل جدًا ، ومحدد لغرض تعليمي واحد . فمن المعروف أن الهدف من إنشاء الأربطة هو إيواء الفقَراء والزهاد والمنقطعين للعبادة ، إلا أن الصوفية اتخذت منها مكانا لنشر أفكارها بين سكانها ، حيث يقوم شيخ الرباط أو شيخته[٢٢٦] - عادة - بتعليم السكان بعض الأذكار في أيام محددة على نهج بعض الطرق الصوفية[٢٢٧] . وفي الوقت نفسه يعرفهم بالسبل التي تؤدي بالصوفي إلى أن يترقى من مرتبة إلى مرتبة من طبقات الصوفية بالإضافة إلى قيامه بوعظ سكان الرباط .

وقد ذكر الفاسي بأنه كان في مكة عدد من الأربطة ، أسسها بعض الناس احتسابا للأجر والثواب من عند الله تعالى ، وأوقفوا عليها أوقافا تدر عليها ، وبعضها كان مخصصا للرجال والأخرى مخصصة للنساء ، كما أن بعضها خصص لفئة دينية معينة[٢٢٨] .

ولا شك أن ذلك كان بتأثير تنامي الحركة الصوفية في العالم الإسلامي ، في ذلك الوقت ، واعتقاد بعض الناس أن ذلك سبيل من السبل التي تؤدي إلى طلب الأجر والثواب من الله تعالى ، حيث يدل على ذلك كثرة هذه الأربطة من ناحية وإنفاق الأثرياء عليها من ناحية أخرى .

التدريس في بيوت العلماء

وهذا هو المكان الرابع لتلقي العلم في مكة في ذلك الوقت . فقد كانت بيوت بعض العلماء ملتقى علميًا لهم بطلابهم ، يلقون فيها دزوسهم ، وذلك ربما يعود لعدة أساب منها :

١ - الرغبة في إفادة بعض الطلاب الذين لا يجدون وقتا كافيا لحضور دروس هؤلاء العلماء في المسجد الحرام أو المدارس .

٢- رغبة بعض العلماء في الحرص بالعناية بفئة خاصة من الطلاب ، يجدون فيهم الإقبال على التعلم والأخذ منهم .

٣- عدم مقدرة بعض هؤلاء العلماء على الذهاب إلى مكان الدرس سواء في المسجد الحرام أو في المدرسة لمرضه أو عجزه عن الحركة .

واغلب المواد التعليمية التي يتلقاها الطلاب في هذه البيوت ، هي تلاوة القرآن الكريم على يد شيوخ مشهود لهم بإجادتها[٢٢٩] .

طرق التدريس

١ - طريقة الإلقاء أو المحاضرة

وهي أكثر طرق التدريس استعمالا في المسجد الحرام أو في المدارس في ذلك الوقت ، وهذه الطريقة تحتاج قبل البدء بها إلى الاستعداد العلمي والنفسي للمدرس إذ لابد للمدرس أن يكون ملما بجميع المسائل العلمية التي سيذكرها في محاضرته . كما يجب أن يكون في حالة نفسية ملائمة ومناسبة لإلقاء الدرس .

وبالقدر الذي يهيء المدرس نفسه للدرس ، لابد أن يهيء طلابه لذلك ، ويبدأ ذلك بترتيبهم

في الجلوس ، وتشجيعهم على الإنصات ، والاستعداد للدرس بما يلزمه ، ويكون جلوسه في مكان يراه الجميع .

وعليه أن يوزع وقت الدرس بين عناصره ، حتى لا يطغى عنصر على آخر ، فيؤدي إلى إطالة الدرس عن الوقت المحدد ، مما يورث الملل . وعليه أيضا أن يعرف قدرات طلابه العقلية ويعطيهم من المعلومات ما يناسب تلك القدرات .

وعند إلقائه الدرس ، عليه أن يخلص النية ، ثم يبدأ باسم الله ، ويدعو الله تعالى أن يعينه ويعصمه من الزلل ، ثم يمهد لموضوع درسه بإعطاء طلابه نبذة عن الموضوع ، ويبدأ بعناصر الدرس الأهم فالمهم بشرحها ، بصوت متأن مسموع يوجهه للجميع ، ويقف قليلا عند كل فقرة ليتأكد من فهم الطلاب لما يقول ، إما بسؤالهم أو بالسماح لهم بالسؤال لما غمض عليهم فهمه ، ويبتعد عن الاستطراد أثناء الدرس ، أو الإلقاء باستخدام عادات أو عبارات غير لائقة .

ومن الأشياء المهمة التي يجب أن يحرص عليها المدرس أثناء إلقائه الدرس ، أن يكون في جو يسوده الهدوء والانضباط .

هذا وإن كانت هذه الطريقة أكثر استعمالا ، إلا أنها لا تستعمل في كل مواد التعليم ، إذ اختصت بعض المواد ببعض الطرق الخاصة بها ، والتي تتلاءم مع طبيعتها ، ومن هذه الطرق :

٢- طريقة السماع(٢٣٠)

وهو أن يسمع المتعلم من لفظ شيخه ، وتنقسم إلى قسمين :

- أن يسمع الطالب من الشيخ في كتاب يقرؤه .
- أن يسمع الطالب من الشيخ من محفوظاته .

ويتم تلقي المتعلم للمعلومات بهذه الطريقة عن طريقين أيضا :

- أن يحاول المتعلم حفظ المعلومات التي يأخذها من شيخه .
- أن يدون المتعلم المعلومات التي يأخذها من شيخه ، عن طريق إملاء الشيخ له .

ويجوز أن يكون المتلقي للعلم طالبا واحدا أو مجموعة من الطلاب .

٣- طريقة القراءة أو العرض(٢٣١)

وتتم عن طريقين أيضا ، وهما :

١ - أن يقرأ المتعلم على الشيخ من حفظه ، أو من كتاب ينظر فيه .

٢- أن يسمع المتعلم غيره يقرأ على الشيخ .

ويشترط فيها أن يكون الشيخ حافظا لما يُقرأ عليه ، أو ينظر في كتاب ليتمكن من المقابلة على الأصل الصحيح ، أو يجعل هذا الأصل بأيدي طلابه الآخرين الثقات الضابطين ، أو واحد منهم على الأقل .

ويكثر استعمال طريقتي السماع والقراءة في تدريس الحديث أو الفقه ، لأنهما يحتاجان للحفظ ولضبط النصوص بشكل دقيق لا ينقص منها حرف واحد .

٤- طريقة القراءة والشرح[٢٣٢]

وهي أن يقرأ قارىء من كتاب ، ويقوم المدرس بشرح المعلومات الموجودة بهذا الكتاب فقرة ، فقرة ، وبشكل مبسط مع ضرب الأمثلة حتى يسهل فهمها .

الشهادات

كانت الشهادات في النظام التعليمي ، في ذلك الوقت تُعطى من قبل الشيخ (المدرس) لتلميذه ، عند اطمئنان الشيخ إلى أن التلميذ سيؤدي الغرض الذي من أجله منحه هذه الشهادة . وعلى الشيخ أن يحدد الغرض الذي من أجله منح تلميذه الشهادة .

وتُعطى الشهادات ، في ذلك الوقت ، عادة ، لأغراض منها :

١- الإذن للتلميذ بالتدريس في علم ما[٢٣٣] .
٢- الإذن للتلميذ بالإفتاء والتدريس معا[٢٣٤] .
٣- الإذن للتلميذ برواية كتاب ما ، درسه التلميذ على الشيخ[٢٣٥] .
٤- الإذن للتلميذ برواية جميع ما رواه الشيخ عن شيوخه[٢٣٦] .
٥- الإذن للتلميذ برواية جميع ما ألفه الشيخ من مؤلفات في مختلف العلوم[٢٣٧] .

ولا يعطي الشيخ - غالبا - تلميذه الإذن بنقل العلم عنه ، إلا بعد أن يدرس التلميذ عليه ، ويعرفه جيدا . إلا أنه - أحيانا - يعطي الشيخ ، هذا الإذن للتلميذ ، رغم أنه لم يدرِّسه[٢٣٨] . أو قد يكتب له الشيخ شيئا من العلم ، ويسمح له بنقله عنه[٢٣٩] ، نزولا عند رغبة شيخ آخر طلب منه ذلك[٢٤٠] . وأحيانا يبالغ الشيخ في ثقته بأن يعطي الإذن للتلميذ المشفوع له وأولاده[٢٤١] .

وفي العادة يتلقى الطالب ، العلم على عدة شيوخ ، فيأخذ من كل واحد منهم شهادة (إجازة) تأذن له بنقل العلم عنه . وكلما كثر عدد الشيوخ الذين ينقل عنهم الطالب ، زادت مكانته العلمية ، بين أقرانه من الطلاب ، وبين غيرهم من أهل العلم ، فيساعده ذلك من ناحية

أخرى على تولي بعض الوظائف التعليمية والدينية . لذلك يحرص طلاب العلم في ذلك الوقت على أخذ العلم على عدد من الشيوخ في مختلف فروع العلم ، مما جعل أحدهم يفتخر بأنه تلقىٰ العلم على نحو خمسمائة شيخ[٢٤٢] .

معــوقـــات التعـــليم في ذلك الوقت

قبل أن ننهي هذا البحث ، لابد أن نشير ، إلى أنه بالرغم من الحركة التعليمية النشطة في ذلك الوقت ، والتي كانت تعجُّ بها مكة ، إلا أنه كان يقف في طريقها عدة عقبات تحول دون تقدمها إلى الأحسن .

والواقع أن هذه العقبات لم تكن خاصة بالحركة التعليمية بمكة وحدها ، وإنما كان يشاركها في ذلك عدد من البلاد الإسلامية ، ومن أبرز هذه العقبات :

١ - التعصب المـــذهبي

ويبرز هذا في عدة أشكال منها :

أ - حصر تدريس فقه أحد المذاهب السنية الأربعة في منهج بعض الدروس الموقوفة في المسجد الحرام ، أو في بعض المدارس .

ب - التزام كل فقيه بالفتوى على مذهبه ، وعدم الأخذ بما جاءت به المذاهب الأخرى .

جـ - تعيين أربعة قضاة على المذاهب السنية الأربعة[٢٤٣] .

د - وجود أربعة أئمة في المسجد الحرام ، كل إمام يتبع أحد المذاهب السنية الأربعة ويصلي بجماعته[٢٤٤] .

هـ - حصر سكنى بعض الأربطة بالمجاورين من مذهب معين[٢٤٥] .

٢ - الجمــود الفــكري وتقــرير ما خلفــه الســلف

ويبرز هذا في عدة أشكال منها :

أ - ضيق المنهج الدراسي ، بحيث أصبح شيوخ كل مذهب يقررون كتب العلماء الذين قبلهم ، ويلزمون طلابهم بحفظها وترديدها .

ب - وقد أدى هذا إلى الاعتماد في طرق التدريس على السماع والقراءة والعرض ، دون الاهتمام بالمناقشة والحوار والفهم .

جـ - وساعد هذا أيضا على انتشار ظاهرة الإجازة ، وهي إذن بعض الشيوخ لبعض طلاب العلم في ذلك الوقت بنقل العلم عنهم ، رغم أنهم لم يأخذوه عنهم مباشرة ، بل عن طريق الكتب ، وهو يشبه إلى حد كبير ما يسمى في عصرنا الحاضر بنظام الدراسة بالانتساب .

د - الاعتماد الكلي والمطلق على كتب السلف عند الإفتاء ، وعدم جواز الخروج عنها مطلقا ، واعتبارها نصوصا ثابتة لا تقبل التأويل .

٣- انشغال القيادات السياسية في ذلك الوقت (سلاطين المماليك وأشراف مكة) ، بخصوماتهم السياسية ، وعدم الاهتمام بالنواحي العامة الأخرى ، ومنها التعليم . وربما يعود ذلك لأن المستوى العلمي عند معظمهم كان بسيطا جدا ، وكانت تربيته وإعداده من أجل تولي المراكز السياسية القيادية .

٤- انتشار بعض العقائد الدينية الفاسدة ، حتى بين المتعلمين ، نتيجة أزدياد نشاط الفرق الصوفية ، إذ أصبح التدين عند أغلبهم ترديدا لأذكار وأوراد في أوقات معينة ، واعتقادا بكرامات بعض مشايخ الصوفية وخرافات وشعوذة وطقوسا وممارسات ما أنزل الله بها من سلطان .

٥- اعتماد المدارس والدروس الموقوفة في المسجد الحرام على الوقف الذي كان عرضة للتذبذب ثم النضوب . وهذا سهل على البعض التجرؤ على الاستيلاء على المدرسة أو الوقف ، وبالتالي أدى إلى تعطل الدرس أو المدرسة عن أداء مهمتها التعليمية .

٦- عدم اكتراث أكثر القائمين بالعملية التعليمية ، من مدرسين وغيرهم ، بواجباتهم الوظيفية ، والاهتمام بما تدر عليهم الوظائف التعليمية من مال .

وهكذا نجد أنه لولا تلك العقبات ، لأمكن للحركة التعليمية بمكة أن تسير إلى الأحسن . ويمكن اعتبار ذلك العهد من أزهى فترات التعليم في مكة في العهود السابقة .

الحواشي

(١) سورة الرحمن الآيات (١ - ٣) .

(٢) سورة العلق آية (١) .

(٣) **النووي ، يحيى بن شرف** ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تحقيق مصطفى محمد عمارة ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٦م ، ص ١٤٩ .

(٤) **القابسي ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن خلف** ، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، ملحق في كتاب (التربية في الاسلام) لأحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ،

الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م ، ص ٢٨٢ .

(٥) **الفاسي ، محمد بن أحمد بن علي** ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق ، محمد الطيب حامد الفقي ، وفؤاد سيد ومحمود الطناحي ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٨م ، جـ ١ ، ص ٣٣١ .

(٦) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ص ٢٥١ - ٢٦٤ .

(٧) **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد** ، المقدمة ، القاهرة ، مطبعة بولاق ١٢٨٤هـ ، ص ٤٧٤ ، انظر أيضا **ابن جبير ، محمد بن أحمد** ، رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٢٤٥ ؛ و **ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله** ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، دار التراث ، ١٩٦٨م ، ص ٨٩ .

(٨) سورة القصص آية ٧٧ .

(٩) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٧٤ ؛ **الأهواني** ، أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(١٠) **أمحزون ، محمد** ، المدينة المنورة في رحلة العياشي ، دراسة وتحقيق ، الكويت ، دار الأرقم ، ١٩٨٨م ، ص ٢٠٤ .

(١١) **الفاسي ، محمد بن أحمد بن علي** ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، حققه لجنة من كبار العلماء والأدباء ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٩٥٦م ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ .

(١٢) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٧٤ ؛ **الأهواني** ، التربية في الإسلام ، ص ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(١٣) **ابن خلدون** ، المقدمة ، ص ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(١٤) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٨٢ .

(١٥) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٤١٣ ، ٤٣٥ .

(١٦) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(١٧) **السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن** ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، بدون تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ .

(١٨) **ابن الأخوة ، محمد بن محمد** ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، صححه روبن ليوي ، كمبرج ، مطبعة دار الفنون ، ١٩٣٧ ، ص ١٧٠ .

(١٩) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٧٢ ؛ **ابن جبير** ، ص ٢٤٥ ؛ **ابن بطوطة** ، ص ٨٩ .

(٢٠) **السبكي ، عبد الوهاب** ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق أحمد عبيدلي ، بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٣م ، ص ١٣٠ .

(٢١) **ابن بطوطة** ، ص ٨٩ .

(٢٢) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٨٣ ؛ **ابن سحنون** ، محمد ، آداب المعلمين ، ملحق في كتاب « التربية في الإسلام » ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥م ، ص ٣٠٩ .

(٢٣) **ابن الأخوة** ، معالم القربة ، ص ١٧٠ .

(٢٤) **السيوطي ، عبد الرحمن** ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت - صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٨٧م ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ .

(٢٥) عن واجبات معلم الصبيان انظر : **ابن سحنون**، آداب المعلمين ص ص ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ؛ **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٧١ ؛ **ابن الأخوة** ، معالم القربة ص ص ١٧٠ - ١٧٢ ؛ **ابن بسام ، محمد بن أحمد** ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٨٦٨ ، ص ص ١٦١-١٦٢ ؛ **ابن الحاج العبدري الفاسي المالكي ، محمد** ، مدخل الشرع الشريف على المذاهب ، بيروت (؟) دار الفكر ، ١٩٨١م ، جـ ٢ ، ص ص ٣١٣-٣٢٥ ؛ **الغزالي ، محمد** ، إحياء علوم الدين ، بيروت ، دار الندوة الجديدة ، جـ ١ ، د. ت ، ص ص ٥٥ - ٥٨ .

(٢٦) **ابن الأخوة** ، معالم القربة ، ص ١٧١ ؛ **ابن بسام** ، نهاية الرتبة ص ص ١٦١-١٦٢ ؛ **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ص ٢٩٧-٢٩٨ ؛ **ابن سحنون** ، آداب المعلمين ص ٣٠٩ ؛ **الشيزري ، عبد الرحمن** ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق الباز العريني ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ١١٤ ؛ **الأهواني** ، التربية في الإسلام ، ص ص ١٣٥-١٣٧ .

(٢٧) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٢٨) **التجيبي ، محمد بن أحمد** ، رسالة تربوية ، نشرها ليفي برفنسال ، ملحقة في كتاب المغراوي وفكره التربوي ، تحقيق عبدالهادي التازي ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، ١٩٨٦ ، ص ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢٩) **المقريزي ، أحمد بن علي** ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق ، محمد مصطفى زيادة ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦ - ١٩٧٣م ، ٣/٣/ ١١٥٩ .

(٣٠) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٥ ، ص ١٠ ، جـ ٨ ، ص ٣٣١ .

(٣١) **ابن سحنون** ، آداب المعلمين ، ص ٣١١ ؛ **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٨٦ .

(٣٢) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ .

(٣٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ ؛ **ابن فهد ، عمر بن فهد** ، الدر الكمين في الذيل على العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، رقم ١٠٤٢ تاريخ من مخطوطة في مكتبة رضا رامبور بالهند ، ١٤٠/أ .

(٣٤) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٧ ، ص ٤٩٠ .

(٣٥) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٤٩٥ ، جـ ٨ ، ص ١٧ .

(٣٦) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ .

(٣٧) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٥٩٥ .

(٣٨) **ابن سحنون** ، آداب المعلمين ، ص ٣١٢ ؛ **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٨٠ .

(٣٩) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٨٠ ، ٢٨٤ .

(٤٠) **الشيزري** ، نهاية الرتبة ص ١١٥ ؛ **ابن الأخوة** ، معالم القربة ، ص ١٧١ .

(٤١) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٤٢) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٣١ .

(٤٣) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٨٥ .

(٤٤) **ابن الحاج** ، المدخل ، جـ ٢ ، ص ص ٣٣١ - ٣٣٣ .

(٤٥) **ابن جبير** ، ص ص ١٢٧ -١٢٨ ؛ **ابن بطوطة** ، ص ١٦٢ .

(٤٦) **ابن فهد** ، **عمر بن فهد** ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، وعبدالكريم علي باز ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤ - ١٤٠٨هـ ، جـ ٤ ، ص ص ٦١٨-٦١٩ .

(٤٧) **النووي** ، رياض الصالحين ، ص ٤٠٢ .

(٤٨) **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٧٩ ؛ **ابن سحنون** ، آداب المعلمين ، ص ٣١١ .

(٤٩) **ابن سحنون** ، آداب المعلمين ، ص ٣١٠ .

(٥٠) **المصدر السابق** ، ص ٣١٧ ؛ **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٧١ .

(٥١) **ابن الأخوة** ، معالم القربـة ، ص ١٧١ ؛ **ابن بسام** ، نهاية الرتبة ، ص ١٦٢ .

(٥٢) **ابن بسام** ، نهاية الرتبة ، ص ١٦٣ .

(٥٣) **المصدر السابق** ، نفس المكان ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ١٢ ، ص ١٤٨ .

(٥٤) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ١٢ ، ص ٤٥ ، ١٠٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ .

(٥٥) **المصدر السابق** ، جـ ١٢ ، ص ٢١ .

(٥٦) **ابن سحنون** ، آداب المعلمين ، ص ٣١٦ ؛ **القابسي** ، الرسالة المفصلة ، ص ٢٧١ .

(٥٧) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ١٢ ، ص ٤٥ ، ١٠٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ .

(٥٨) **المصدر السابق** ، جـ ١٢ ، ص ٢ ، ١٣ ، ٤٥ .

(٥٩) **المصدر السابق** ، جـ ١٢ ، ص ١٥ .

(٦٠) **المصدر السابق** ، جـ ١٢ ، ص ٤٥ ، ١٠٦ .

(٦١) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٨ ، ص ٣٣٢ .

(٦٢) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٢٦٠ .

(٦٣) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٣٣٢ .

(٦٤) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٢٨١ .

(٦٥) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٣٧ .

(٦٦) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧ .

(٦٧) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٢٣٥ ، ٢٨٧ .

(٦٨) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٩٢ .

(٦٩) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ .

(٧٠) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ١٩٩ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ .

(٧١) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ .

(٧٢) **المصدر السابق** ، جـ ٨ ، ص ٢٠٢ ، ٢٢٦ .

(٧٣) المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٩٥ .

(٧٤) المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٠٢ .

(٧٥) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ .

(٧٦) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٦٠ .

(٧٧) المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٢٣ ؛ جـ ١٠ ، ص ٤٥ .

(٧٨) المصدر السابق جـ ٤ ، ص ٦٠ ، جـ ٦ ، ص ١٢٤ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ٩٢/ ب ؛ **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ ؛ **ابن بطوطة** ، ص ١٣٢ .

(٧٩) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ .

(٨٠) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ؛ **ابن فهد** ، اتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٢٩٦ ، ٣٦٨ .

(٨١) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ، حـ ٥ ، ص ١٠ .

(٨٢) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٥٦ ؛ جـ ٨ ، ص ٨٨ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ ؛ **ابن حجر العسقلاني** ، **أحمد بن علي** ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق ، محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٥ ، جـ ٥ ، ص ٩٩ .

(٨٣) الفاسي ، العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٢٩٦ .

(٨٤) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ .

(٨٥) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(٨٦) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٨٤ ، جـ ١١ ، ص ١٣٢ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ١٢٩/ أ ، ١٨٣/ ب .

(٨٧) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٢١٤ ؛ جـ ٩ ، ص ٢٢٣ .

(٨٨) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ ؛ جـ ١١ ، ص ٦٠ .

(٨٩) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ .

(٩٠) المصدر السابق ، نفس المكان ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٣١١ .

(٩١) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٦ ، ص ٢٣٧ .

(٩٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ، ٣٧٢ ؛ جـ ٢ ، ص ٥٦ ، ٢٩٢ ؛ جـ ٣ ، ص ١٦٨ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ١٨٣/ ب .

(٩٣) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٥٦ .

(٩٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ ؛ جـ ٦ ، ص ١٣٤ .

(٩٥) المصدر السابق ، نجـ ٦ ، ص ١٣٠ .

(٩٦) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ .

(٩٧) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ .

(٩٨) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٨٦ ؛ جـ ٥ ، ص ١٩٨ ؛ جـ ٨ ، ص ٨٨ .

(٩٩) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ .

(١٠٠) **ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي** ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، جـ ٧ ، ص ٣٢٩ .

(١٠١) **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ٥٨/أ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٢٢٣ .

(١٠٢) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ ؛ جـ ٢ ، ص ١١٦ .

(١٠٣) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ .

(١٠٤) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٣٧ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٢٢٣ .

(١٠٥) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ٩٣ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ١٤٢/أ .

(١٠٦) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ١٢/أ .

(١٠٧) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ .

(١٠٨) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٤٨٨ .

(١٠٩) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ .

(١١٠) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(١١١) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ٨٦/أ .

(١١٢) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ص ٧٢ -١٧٣ ؛ **السخاوي ، محمد** ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ص ١٧-١٨ .

(١١٣) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٧٢ .

(١١٤) المصدر السابق ، نفس المكان ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٣٩٢ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٤٥ .

(١١٥) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .

(١١٦) المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٧ .

(١١٧) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ؛ جـ ٤ ، ص ٦٠ ؛ جـ ٦ ، ص ١٢٤ .

(١١٨) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٣١ ؛ العقد الثمين ، جـ ٦ ، ص ٣٤ ؛ كتاب المنتقى في أخبار أم القرى (منتخبات من تواريخ مكة للفاكهي والفاسي وابن ظهيره) نشرها فستنفلد ، غنتقه ، ١٨٥٩ ، ص ١٠٤ .

(١١٩) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١١٧ ؛ جـ ٨ ، ص ٢٦١ ، المنتقى ، ص ١٠٤ .

(١٢٠) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ص ٣٣٠ ، ٥٣٦ ؛ العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١١٨ ، ١٢٢ .

(١٢١) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٣٠ .

(١٢٢) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ٣٢٤ ؛ **النهروالي المكي الحنفي ، قطب الدين** ، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، نشره فرديناند فستنفلد ، غنتقه ، ١٨٥٧م ، ص ١٧٧ .

(١٢٣) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٣٠ .

(١٢٤) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٥٤ .

(١٢٥) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٣٠ ؛ العقد الثمين ، جـ ٥ ، ص ٣٣٥ .

(١٢٦) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٦ ، ص ٣٤٨ ، المنتقى ، ص ١٠٤ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٦٠ ؛ **ابن بطوطة** ، ص ١٤٥ ، ١٤٧ .

(١٢٧) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ ؛ العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ٢٨٣ .

(١٢٨) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ، ٦٦ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٦ ؛ **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢١٢ .

(١٢٩) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ ؛ العقد الثمين ، جـ ٦ ، ص ١٥٨ .

(١٣٠) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ ؛ العقد الثمين ، جـ ٥ ، ص ٩٥ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ .

(١٣١) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ ؛ **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٤٢٣ .

(١٣٢) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ٤٠٥ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٣٦٩ .

(١٣٣) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ٤٠٥ ؛ **ابن فهد** . إتحاف الورى جـ ٤ ، ص ٦٤ .

(١٣٤) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤ .

(١٣٥) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٤ ، ص ٩٦ ؛ شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٤٢٣ .

(١٣٦) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٢١٤ .

(١٣٧) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ص٣٢٨-٣٢٩ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٤٨١ ، ٤٨٥ .

(١٣٨) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٣٧٢ .

(١٣٩) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٣١ ؛ العقد الثمين ، جـ ٦ ، ص ١٠١ .

(١٤٠) **ابن العماد الحنبلي** ، شذرات الذهب ، جـ ٧ ، ص ٢٢٥ .

(١٤١) **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ٥٨/ أ .

(١٤٢) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٤٣٢ ، ٤٤٣ .

(١٤٣) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ٩٣ ؛ جـ ٧ ، ص ١٦٥ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ٩٥/ أ .

(١٤٤) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٦٤٣ ؛ جـ ٤ ، ص ٢٤ ، ٤٥ .

(١٤٥) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٣٠٦ .

(١٤٦) **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ٩٩/ أ .

(١٤٧) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٢٠ ، ٦٣٤ ، ٦٣٨ ، ٦٤٧ ؛ **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢٢٥ ، ٢٣٥ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ٢٠٧ .

(١٤٨) **ابن فهد** ، **عبد العزيز** ، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مخطوطة بمكتبة الحرم المكي ، تاريخ دهلوي ، حوادث سنة ٩٠٣هـ .

(١٤٩) المصدر السابق ، حوادث سنة ٩٠٧هـ .

(١٥٠) **ابن إياس الحنفي ، محمد بن أحمد** ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، جـ ٥ ، ص ٩٥ .

(١٥١) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ص ٤٨١-٤٨٢ .

(١٥٢) **ابن بطوطة** ، ص ١٤٥ .

(١٥٣) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ ، ٥١٧ ، ٦٤٠ ؛ **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢٢٦ .

(١٥٤) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ٣٨٩ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٥٥٠ .

(١٥٥) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٦٢٣ .

(١٥٦) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ .

(١٥٧) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٦٤٧ ؛ **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢٣٥ .

(١٥٨) **ابن جماعة ، محمد بن إبراهيم** ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، ملحق في كتاب المذهب التربوي عند ابن جماعة . تحليل وتحقيق عبد الأمير شمس الدين ، بيروت ، دار اقرأ ، ١٩٨٤ ، ص ص ١٥٩-١٦٧ .

(١٥٩) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ ؛ **شلبي ، أحمد** ، التربية الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ١٣٢ .

(١٦٠) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ .

(١٦١) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ١٤٢ .

(١٦٢) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٧ .

(١٦٣) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ ؛ جـ ٢ ، ص ص ٥٧-٥٨ ؛ جـ ٣ ، ص ص ١٦٨-١٦٩ .

(١٦٤) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(١٦٥) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٢١٤ .

(١٦٦) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ ؛ جـ ٣ ، ص ١١٢ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ .

(١٦٧) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ، ٣٧٦ .

(١٦٨) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ؛ جـ ٢ ، ص ٥٨ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ٥٥/ ب-٥٦/ أ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٣٢ .

(١٦٩) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(١٧٠) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٧ .

(١٧١) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٥٨ .

(١٧٢) **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ٥٥/ ب-٥٦/ أ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ص ٢١٤-٢١٥ .

(١٧٣) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٨٣ ؛ جـ ٧ ، ص ٤٥ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ١٢٩/ أ .

(١٧٤) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٨٧ .

(١٧٥) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٨٧ ؛ جـ ٧ ، ص ٤٥ ؛ **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٥ ، ص ٤٧٠ .

(١٧٦) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٤٥ .

(١٧٧) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٥٨ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ٥١/ أ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(١٧٨) **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ١٨٣/ ب ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ١١ ، ص ١٣٢ .

(١٧٩) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٨٧ ؛ **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ١٠/ ب .

(١٨٠) **ابن فهد** ، الدر الكمين ، ١٢/ ب .

(١٨١) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٤٥ .

(١٨٢) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ١٤١ ..

(١٨٣) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٦٥ .

(١٨٤) **ابن جماعة** ، تذكرة السامع ، ص ص ٧٥-١٠٨ .

(١٨٥) الآية ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، سورة القلم آية ٤ .

(١٨٦) **علوان ، عبد الله** ، تربية الأولاد في الإسلام ، بيروت ، دار السلام ، ١٩٨١م ، جـ ٢ ، ص ٦٣٥ .

(١٨٧) **النووي** ، رياض الصالحين ، ص ٦٦٨ .

(١٨٨) **السبكي** ، معيد النعم ، ص ص ١٠٥-١٠٨ .

(١٨٩) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ٩ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ١٨٣ .

(١٩٠) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(١٩١) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ٩ .

(١٩٢) المصدر السابق ، نفس المكان ، جـ ٥ ، ص ٥٣٢ .

(١٩٣) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٤٠ .

(١٩٤) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٤٦ .

(١٩٥) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٣٢٩ ، ٤٥٩ ؛ جـ ٤ ، ص ٣٣٢ .

(١٩٦) **السبكي** ، معيد النعم ، ص ١٠٨ .

(١٩٧) **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢٣٥ .

(١٩٨) **السبكي** ، معيد النعم ، ص ١٠٩ .

(١٩٩) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٨ ؛ **ابن جماعة** ، تذكرة السامع ، ص ٩٢ .

(٢٠٠) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٨ .

(٢٠١) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٦ .

(٢٠٢) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ١٤٢ .

(٢٠٣) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(٢٠٤) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٥٣٩ .

(٢٠٥-٢٠٩) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(٢١٠) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ١٨٢ .

(٢١١) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٨ ؛ **السبكي** ، معيد النعم ، ص ١١٠ .

(٢١٢) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٨ ؛ **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢٣٥ .

(٢١٣) المصدر السابق ، نفس المكان .

(٢١٤) **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢٣٥ .

(٢١٥) المصدر السابق ، نفس المكان ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٨ .

(٢١٦) **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢٣٥ .

(٢١٧) المصدر السابق ، نفس المكان .

(٢١٨) المصدر السابق ، نفس المكان ؛ و**ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٨ .

(٢١٩) المصادر السابقة ، نفس المكان .

(٢٢٠) **النهروالي** ، الإعلام ، ص ٢٣٥ .

(٢٢١) المصدر السابق ، نفس المكان .

(٢٢٢) المصدر السابق ، نفس المكان .

(٢٢٣) المصدر السابق ، نفس المكان ؛ **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٤ ، ص ٦٤٨ .

(٢٢٤) المصادر السابقة ، نفس المكان .

(٢٢٥) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ .

(٢٢٦) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ١٩٥ ؛ جـ ١٢ ، ص ٧٧ .

(٢٢٧) المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٧٧ .

(٢٢٨) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ص ٣٣٠-٣٣٧ .

(٢٢٩) **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٦٠ ؛ جـ ٦ ، ص ١٢٤ .

(٢٣٠) **الصالح** ، **صبحي** ، علوم الحديث ومصطلحه ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ ، ص ٨٨ ؛ **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ص ٣٣١-٣٣٣ .

(٢٣١) **صبحي الصالح** ، علوم الحديث ، ص ٩٣ ؛ **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ص ٣٣١-٣٣٣ .

(٢٣٢) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ٧ ، ص ٤٨٨ .

(٢٣٣) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(٢٣٤) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ ، ٣٣٥ .

(٢٣٥) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٧ ، ٣٩٩ .

(٢٣٦) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٣٧ .

(٢٣٧) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٤ ، ٣٣٧ .

(٢٣٨) **الأحدب ، خلدون** ، أسباب اختلاف المحدثين ، جدة ، الدار السعودية للنشر ، ١٤٠٥/ ١٩٨٥ ، جـ ١ ، ص ١٥٨ ؛ **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٣٧ .

(٢٣٩) **الفاسي** ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ ، ٢٩٥ ، ٤١٣ .

(٢٤٠) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٩٩ ، ٤١٣ ، ٤٣٠ .

(٢٤١) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤١٣ .

(٢٤٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ .

(٢٤٣) **ابن فهد** ، إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٤٣٧ ، ٤٤٢ ؛ **السخاوي** ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٣٣٣ .

(٢٤٤) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ص ٢٤٤-٢٤٦ .

(٢٤٥) **الفاسي** ، شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ص ٣٣٠-٣٣٧ .

المـــــراجـــــع

القـــــرآن الكـــــريم

ابن الأخوة ، محمد بن محمد ، *معالم القربة في أحكام الحسبة* ، صححه روبن ليوي ، كمبردج ، مطبعة دار الفنون ، ١٩٣٧م .

ابن إياس الحنفي ، محمد بن أحمد ، *بدائع الزهور في وقائع الدهور* ، تحقيق محمد مصطفى ، الجزء الخامس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

ابن بسام ، محمد بن أحمد ، *نهاية الرتبة في طلب الحسبة* ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨م .

ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، *رحلة ابن بطوطة* ، بيروت ، دار التراث ، ١٩٦٨م .

ابن جبير ، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ، *رحلة ابن جبير* ، بيروت ، دار بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤م .

ابن جماعة ، محمد بن إبراهيم ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، ملحق في كتاب « *المذهب التربوي عند ابن جماعة* » ، تحليل وتحقيق عبد الأمير شمس الدين ، بيروت ، دار اقرأ ، ١٩٨٤م ، (ص ص ٦١-١٦٨) .

ابن الحاج العبدري الفاسي المالكي ، محمد ، *مدخل الشرع الشريف على المذاهب* ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨١م .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد ، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٥هـ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، *المقدمة* ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٨٤هـ .

ابن سحنون ، محمد ، آداب المعلمين ، ملحق في كتاب « *التربية في الإسلام* » لأحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥م ، (ص ص ٣٠٧-٣٢٠) .

ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي ، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع . (د. ت) .
ابن فهد ، عبد العزيز بن عمر ، *بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى* ، مخطوطة بمكتبة الحرم المكي ، تاريخ دهلوي .
ابن فهد ، عمر بن فهد ، *إتحاف الورى بأخبار أم القرى* ، تحقيق فهيم محمد شلتوت و عبد الكريم علي باز ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤-١٤٠٨هـ .
ـــــــــ ، *الدر الكمين في الذيل على العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين* ، نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٤٢ ، التاريخ من مخطوطة محفوظة في مكتبة رضا رامبور في الهند .
الأحدب ، خلدون ، *أسباب اختلاف المحدثين* ، جدة ، الدار السعودية للنشر ، ١٩٨٥م .
أمحزون ، محمد ، *المدينة المنورة في رحلة العياشي* ، دراسة وتحقيق ، الكويت ، دار الأرقم ، ١٩٨٨م .
الأهواني ، أحمد فؤاد ، *التربية في الإسلام* ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥م .
التجيبي ، محمد بن أحمد ، رسالة تربوية ، نشرها له ، ليفي بروفنسال ، ملحق في كتاب « *المغراوي وفكرة التربوي* »، تحقيق عبد الهادي التازي ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٦م ، (ص ص ١١٨-١١٩) .
السبكي ، عبد الوهاب ، *معيد النعم ومبيد النقم* ، تحقيق أحمد عبيدلي ، بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٣م .
السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ، *التبر المسبوك في ذيل السلوك* ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، (د. ت) .
ـــــــــ ، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، (د. ت) .
السيوطي ، عبد الرحمن ، *الإتقان في علوم القرآن* ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت - صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٨٧م .
شلبي ، أحمد ، *التربية الإسلامية* ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨م .
الشيزري ، عبد الرحمن ، *نهاية الرتبة في طلب الحسبة* ، تحقيق الباز العريني ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥م .
الصالح ، صبحي ، *علوم الحديث ومصطلحه* ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م .
علوان ، عبد الله ، *تربية الأولاد في الإسلام* ، بيروت ، دار السلام ، ١٩٨١م .
الغزالي ، محمد ، *إحياء علوم الدين* ، بيروت ، دار الندوة الجديدة ، (د. ت) .
الفاسي المكي المالكي ، محمد بن أحمد بن علي ، *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام* ، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٩٥٦م .
ـــــــــ ، *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين* ، تحقيق محمد حامد الفقي و فؤاد سيد و محمود محمد الطناحي ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٩-١٩٦٩ .
القابسي ، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف ، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، ملحق في كتاب « *التربية في الإسلام* »، لأحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥م ، (ص ص ٢٢٩-٣٠٣) .
المقريزي ، أحمد بن علي ، « *كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك* »، تحقيق محمد مصطفى زيادة و سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦-١٩٧٣م .
كتاب « *المنتقي في أخبار أم القرى* »، (منتخبات من تواريخ مكة للفاكهي والفاسي وابن ظهيرة) نشرها

فستنفلد ، غنتغه ، ١٨٥٩م .

النهروالي المكي الحنفي ، قطب الدين ، *كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام* ، نشره فرديناند فستنفلد ، غنتغه ، ١٨٥٧م .

النووي ، يحيى بن شرف ، *رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين* ، تحقيق ، مصطفى محمد عمارة ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٦م .

Educaiton in Makkah during the Mumluke Reign

MOHAMMAD S. AL-TASAN
History Dept., Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University
Jeddah – Saudi Arabia

ABSTRACT. This research follows up the educational system in Makkah during the Mumluke reign which was similar to the educational systems of other Islamic countries because of concentration on religious and linguistic subjects. Usually the child began his education by learning to read and write Arabic and memorize the Quran. After that, he was able to attend the lessons in the Holy Mosque or in schools which were delivered by the scholars of Makkah. Some Makkan students preferred to have more lessons from scholars from other Islamic countries who came to Makkah or the students traveled to them. Although most of the lessons were imparted in the Holy Mosque, and schools, some scholars taught in their houses, or in hospices.

In spite of all these encouragements, the educational system faced some obstacles such as the Mazhab fanatical and financial supports.